مقرر انتساب

الأدب في العصر الجاهلي

الفصل الدراسي الأول 1438/1437هـ

رمز المقرر	عدد الساعات	اسم المقرر	المتطلب السابق
503191-50	3	الأدب في العصر الجاهلي	ــــــــــــــ
أستاذ المقرر	البريد الإلكتروني		الهاتف
د. أحمد سليم	asmohamed@uqu.edu.sa		0506453696

أولاً : أهداف المقرر:

1- أن يتعرف الطالب على العصور الأدبية، وأسس التفريق بينها، وحدودها الزمنية.

2- أن يستوعب الطالب طبيعة العصر سياسايًا واقتصاديًا واجتماعيًا.

3- أن يلم الطالب بأهم الظواهر الأدبية في العصر الجاهلي.

4- أن يعي الطالب أهم القضايا التي اختص بها العصر الجاهلي.

5- أن ينمي الطالب ثروته اللغوية من خلال نماذج الشعر والنثر في العصر الجاهلي.

6- أن يتعرف الطالب على أهم شعراء ذلك العصر وسير حياتهم.

7- أن يدرك الطالب الخصائص الفنية المميزة لأدب ذلك العصر.

8- أن يحيط الطالب بأهم الأغراض والموضوعات في ذلك العصر.

9- أن يكتسب الطالب القدرة على التذوق الأدبي والتحليل.

ثانياً : مفردات المقرر:

١ – دلالة كلمة (الجاهلية) وحدودها التاريخية .

٢ – الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والمعيشية قبل الإسلام .

٣ – نشأة الفصحى وسيادة لهجة قريش .

٤ – رواية الشعر الجاهلي وتدوينه .

٥ – نشأة الشعر الجاهلي وبناء القصيدة .

٦ – قضية الانتحال في الشعر الجاهلي .

٧ – مصادر الشعر الجاهلي .

٨ – خصائص الشعر الجاهلي .

٩ – الصعاليك.

١٠ – المعلقات.

١١ – تحليل نماذج شعرية متكاملة لأعلام الشعراء .

١٢ – أغراض الشعر الجاهلي وفنونه .

١٣ – فنون النثر في العصر الجاهلي (الخطابة والأمثال) .

ثالثاً : المراجع

- **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي : شوقي ضيف**
- **الأدب العربي القديم : محمد صالح الشنطي**
- **الفن ومذاهبه في الشعر العربي : شوقي ضيف**
- **تاريخ آداب اللغة العربية : مصطفى صادق الرافعي**
- **تاريخ الأدب الجاهلي : علي الجندي**
- **الشعر الجاهلي : يحي الجبوري**
- **مصادر الشعر الجاهلي : ناصر الدين الأسد**
- **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي**
- **في الأدب الجاهلي : طه حسين**
- **طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي**
- **الشعر والشعراء : ابن قتيبة**
- **الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني**
- **الموشح : المرزباني**
- **شروح المعلقات (ابن الأنباري –ابن النحاس –الزوزني –التبريزي)**
- **المفضليات : المفضل الضبي**
- **الأصمعيات : الأصمعي**

الأدب في العصر الجاهلي

تعريف العصر الجاهلي : هي تلك الفترة التي سبقت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم واستمرت قرابة قرن ونصف من الزمان.

سبب تسميته بالعصر الجاهلي : سمي بذلك لما شاع فيه من الجهل وليس المقصود بالجهل الذي هو ضد العلم بل هو الجهل الذي ضد الحلم.

العوامل التي أثرت في الأدب الجاهلي:

1طبيعة السلالة العربية.

2بيئة العرب الجغرافية.

3حياة العرب الاجتماعية والأخلاقية .

4حياتهم السياسية.

5حياتهم الدينية.

6حياتهم العقلية ونعني بها علومهم ومعارفهم.

7أسواقهم واقتصادهم.

8المعلقات كمظهر لاهتمامهم بالبلاغة والشعر.

البيئة الجغرافية للعرب :

شبه جزيرة العرب صحراوية في معظمها يسود أرضها الجفاف ولكن حين تحظى بمطر أو ينبوع يتحول بعض أجزائها روضات بهيجة تسر الناظرين.

ولاشك أن الإنسان هو ابن الأرض تطبعه بطابعها وتلون أخلاقه ومزاجه وعاداته بلون تضاريسها ومن هنا فقد طبعت الصحراء أخلاق العرب بطابعها فتحلوا بالشهامة والكرم والنجدة وكراهة الخسة والضيم وقد كانت كل هذه الصفات موضوعات خصبة أمدت الأدب العربي بمعظم أفكاره ومعانيه.

ويجدر بنا قبل دراسة بعض نماذج الأدب الجاهلي من (الشعر والنثر) وإن كان النثر قليلا جدا مقارنة بالشعر أن نقدم بهذه اللمحة عن بيئة الأدب،و مظاهر الحياة

العربية المختلفة من سياسية، واجتماعية، ودينية وعقلية فالأدب صورة للحياة وللنفس وللبيئة الطبيعية و الاجتماعية.

ويطلق الأدب الجاهلي على أدب تلك الفترة التي سبقت الإسلام بنحو مائة وثلاثين عام قبل الهجرة.وقد شب هذا الأدب وترعرع في بلاد العرب،يستمد موضوعاته ومعانيه،ويستلهم نظراته وعواطفه من بيئتها الطبيعية والاجتماعية والفكرية،ويحدد لنا بشعره ونثره فكرة صادقة عن تلك البيئة.مما يعين الدارس على فهم أدب ذلك العصر،واستنتاج خصائصه التي تميزه عن سائر العصور الأدبية التي جاءت بعده مع أن الكثير منه مجهول لضياع أثاره ولا نعرف عنه إلا القليل.

لغة العرب:

*اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية التي نشأت عن أصل واحد،وهي الاشورية والعبرية والسريانية والحبشية)،وتقتصر اللغات العربية في كتابتها على الحروف دون الحركات،ويزيد حروفها عن اللغات الآرية مع كثرة الاشتقاق في صيغها وقد مرت اللغة العربية بأطوار غابت عنها مراحلها الأولى،ولكن مؤرخي العربية اتفقوا على أن للعرب منذ القديم لغتين:جنوبية أو قحطا نية،ولها حروف تخالف الحروف المعروفة، وشمالية أو عدنانية،وهي أحدث من لغة لجنوب،وكل ما وصلنا من شعر جاهلي فهو بلغة الشمال،لأن الشعراء الذين وصلتنا أشعارهم إما من قبيلة ربيعة أو مضر ،وهما منا القبائل العدنانية،أو من قبائل يمنية رحلت إلى الشمال، كطيئ وكندة و تنوخ،وقد تقاربت اللغتان على مر الأيام بسبب الاتصال عن طريق الحروب و التجارة والأسواق الأدبية كسوق عكاظ قرب الطائف،وذي المجاز و مجنة قرب مكة. وبذلك تغلبت اللغة العدنانية على القحطانية،وحين نزل القران الكريم بلغة قريش،تمت السيادة للغة العدنانية،وأصبحت معروفة باللغة الفصحى. وقد كان لنزول القران بها اثر في رقيها وحفظها وإثرائها بكمية هائلة من الألفاظ و التعبيرات و المعاني مما أعان على بسط نفوذها،واستمرار الارتقاء بها في المجالات العلمية والأدبية إلى عصرنا الحالي.

حياة العرب الاجتماعية :

كان عرب الجاهلية فريقيين وهم : حضر وكانوا قلة وبدو وهم الكثرة.

أما الحضر فكانوا يعيشون في بيوت مبنية مستقرة ويعملون في التجارة – الزراعة –

الصناعة ويحيون حياة استقرار في المدن والقرى ومن هؤلاء المدن سكان مدن الحجاز : مكة –يثرب – الطائف – سكان مدن اليمن كصنعاء – وكثيرون من رعايا مملكة المناذرة ومملكة الغساسنة.

كما أنه من أشهر حضر الجاهلية سكان مكة وهم قريش أحلافها وعبيدها وكانت قوافلهم آمنة محترمة لأن الناس يحتاجون إلى خدمات قريش أثناء موسم الحج ولهذا ازدهرت تجارة قريش وكانت لها رحلتان تجاريتان رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام. وأما أهل البادية فكانت حياتهم حياة ترحال وراء منابت العشب لأنهم يعيشون على ماتنتجه أنعامهم وكانوا يحتقرون الصناعة ويتعصبون للقبيلة ظالمة أو مظلومة.

كانت المرأة شريكة مخلصة للرجل في حياته تساعده في حاضرته أوباديته وتتمتع باحترامه حتى لقد اشتهرت بعض النساء في الجاهلية بالرأي السديد.

حياة العرب الأخلاقية:

كانت لعرب الجاهلية أخلاق كريمة تمم الإسلام مكارمها وأيدها كما كانت لهم أخلاق ذميمة أنكرها الإسلام وعمل على محوها.

فمن أخلاقهم الكريمة: الصدق –الوفاء– النجدة– حماية الذمار– الجرأة والشجاعة– العفاف– احترام الجار– الكرم وهو أشهر فضائلهم وبه مدحهم الشعراء.

" "أما عاداتهم الذميمة " "

الغزو –النهب والسلب– العصبية القبلية – وأد البنات– شرب الخمر – لعب القمار.

حياتهم السياسية :

كان العرب من حيث حياتهم السياسية ينقسمون إلى قسمين:

–1قسم لهم مسحة سياسية ، وهؤلاء كانوا يعيشون في إمارات مثل: إمارة الحيرة– امارة الغساسنة – إمارة كندة – مكة يمكن اعتبارها من هذا القبيل لأن نظاماً سياسياً كان ينتظمها.

–2قسم ليس لهم وضع سياسي ، وهم من البدو الرحل ينتمون إلى قبيلة معروفة وتخضع كل قبيلة لشيخها.

الحياة الدينية للعرب:

كان معظم العرب وثنيين يعبدون الأصنام ومن أشهر أصنامهم: هبل- اللات- العزى- مناة كما كانت لهم هناك أصنام خاصة في المنازل.

كما أن من العرب من عبد الشمس والقمر والنجوم ، وكان القليل من العرب يهود أو نصارى لكنهم لم يكونوا على بصيرة وفهم لشريعتهم.

على أن فئة من عقلاء العرب لم تعجبهم سخافات الوثنية وهدتهم فطرتهم الصافية فعدلوا عن عبادة الأصنام وعبدوا الله على ملة ابراهيم عليه السلام وكانوا يسمون الحنفاء.

ومن هؤلاء: قس بن ساعدة – ورقة بن نوفل – أبو بكر الصديق – كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعبد في الغار على ملة ابراهيم فكان أيضا من الحنفاء.

حياة العرب العقلية:

العلم نتيجة الحضارة،وفي مثل الظروف الاجتماعية التي عاشها العرب،لا يكون علم منظم،ولا علماء يتوافرون على العلم،يدونون قواعده و يوضحون مناهجه إذ أن وسائل العيش لا تتوافر،ولذلك فإن كثيرا منهم لا يجدون من وقتهم ما يمكنهم من التفرع للعلم،والبحث في نظرياته وقضاياه.

وإذا كانت حياة العرب لم تساعدهم على تحقيق تقدم في مجال الكتب والعمل المنظم،فهناك الطبيعة المفتوحة بين أيديهم،و تجارب الحياة العملية وما يهديهم إليه العقل الفطري،وهذا ما كان في الجاهلية،فقد عرفوا كثيرا من النجوم ومواقعها،والأنواء وأوقاتها،واهتدوا إلى نوع من الطب توارثوه جيلا بعد جيل،وكان لهم سبق في علم الأنساب والفراسة،إلى جانب درايتهم القيافة والكهانة،كما كانت لهم نظرات في الحياة.

أما الفلسفة بمفهومها العلمي المنظم،فلم يصل إليها العرب في جاهليتهم ،وإن كانت لهم خطرات فلسفية لا تتطلب إلا التفات الذهن إلى معنى يتعلق بأصول الكون،من غير بحث منظم وتدليل وتفنيد،من مثل قول زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

واكبر ما يتميز به العرب الذكاء وحضور البديهة وفصاحة القول لذلك كان أكبر مظاهر حياتهم الفكرية: لغتهم وشعرهم وخطبهم ووصاياهم و أمثالهم.

أقسام الأدب الجاهلي:

ينقسم الأدب في العصر الجاهلي إلى نوعين رئيسيين هما الشعر والنثر.

- 1. الشعر :- هو الكلام الموزون المقفى ((تعريف قديم)).

والموزون :الذي يلزم بحور الشعر بأنواعها المختلفة ،والمقفى : أن كل أبيات القصيدة تنتهي بحرف واحد يُسمى الروي .

والشعر :هو الأسلوب الذي يصور به الشاعر أحاسيسه وعواطفه معتمداً علي موسيقى الكلمات ووزنها والخيال والعاطفة.

- 2. النثر :- هو الأسلوب الذي يصور به الأديب أفكاره ومعانيه غير معتمد علي وزن أو قافية ويميل إلى التقرير والمباشرة.

قيمة الشعر الجاهلي :

-1القيمة الفنية :وتشمل المعاني والأخيلة والعاطفة والموسيقى الشعرية ، حيث نظم الشاعر الجاهلي أكثر شعره على أوزان طويلة التفاعيل .

-2القيمة التاريخية: كان الشعر وسيلة نقل معاناة الناس وشكواها إلى السلطة ، فالشعر الجاهلي يعتبر وثيقة تاريخية بما يخص أحوال الجزيرة وأحوال العرب الاجتماعية والسياسية والعقلية وغيرها.

الشعر الجاهلي:

يعتبر الشعر في العصر الجاهلي اسبق واكثر انتشارا من النثر لأن الشعر يقوم علي الخيال والعاطفة أما النثر فيقوم علي التفكير والمنطق. والخيال أسبق وجوداً من التفكير والمنطق. انتشار الأمية بين العرب وقدرتهم العالية على الحفظ. ولايمكن معرفة بداية الشعر العربي بدقة ; لأن لم يكن العصر الجاهلي عصر تدوين منظم فلا نعرف شعراً عربياً – حسب جهودنا – إلا قبل الإسلام بقرن ونصف ولكن الشعر الذي وصلنا كان

شعراً جيداً مما يدل انه كان هناك محاولات سابقة. كان للشعر منزلة عظيمة، وكان دور الشعر بارز في نشر أمجاد القبائل والإشادة بأحسابها، ويسجل للأجيال مفاخرها.

رواية الشعر الجاهلي وتدوينه:

الشعر الجاهلي قديم موغل في القدم، وقد مر بأطوار ومراحل، فمن عهد بداية وطفولة إلى عهد ترعرع إلى ازدهار واستواء .وقد وصلنا الشعر الجاهلي مستوياً من حيث الشكل الموزون المقضي والأسلوب الجميل الموجز والخيال الخصب وفي لغته القوية.

ولم يكن هذا الاستواء نتيجة عمل شخص معين، بل كان عمل أجيال متعاقبة . وليس بالإمكان تحديد فترة معينة لبدء تلك المحاولات ولكن ما بأيدي الرواة يصل إلى مائتي سنة قبل الهجرة على أعلى تقدير كما قال الجاحظ (وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن وأول من نهج سبيله وسهل الطريق إلية امرؤ القيس بن حجر ومهلهل ربيعة .فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام). علماً بأنه يتحدث هنا عن الشعر الناضج المكتمل.

وهناك دلائل تشير إلى أن هذا الشعر المكتمل الذي وصل إلينا قد سبق ببعض المحاولات ومن ذلك قول امرئ القيس:

عوجاً على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

وليس معروف من هو ابن حذام هنا.

وكذلك يقول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وهذا دليل على أن عنترة مسبوق بأجيال من الشعراء استنفذوا المعاني الجيدة والتعابير الجميلة .

والبيان هو معجزة العرب وبذلك نزل الشعر منزلة رفيعة في النفس العربية فهو يسجل عواطفهم ومفاخرهم وأمجادهم وأيامهم وأنسابهم وهو بذلك ديوانهم .قال عمر بن الخطاب(كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه). ولمنزلة الشعر صار له كبير الأثر في توجيه مشاعرهم وتوحيد لغتهم وتشابه طباعهم، فكم رفع من قدر أقوام

كانوا أذلة وأذل أقواماً كانوا أعز ة، على نحو ما فعل الحطيئة مع بني أنف الناقة الذين كانوا يأنفون من هذا اللقب ولكن بعد أن مدحهم الحطيئة بقوله :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنب

أصبح اسمهم هذا شرفا لهم.

وكذلك هجاء حسان بن ثابت في جاهليته لبني عبد المدان الذين كانوا يفخرون بطول أجسامهم وغلظها فهجاهم حسان بقوله :

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

فأصبح ما يفخرون به سبة لهم .ولكنهم بعد أن تقربوا إليه عاد فأصلح ما أفسد عليهم.

وبذلك فقد كان للشاعر مكانة عالية في النفوس ومنزلة رفيعة في القبيلة، لأنه لسانها الذاب عنها وحامي أعراضها وأمجادها، أي أنه الجهة الإعلامية في القبيلة، لذلك فإنه إذا نبغ شاعر في القبيلة تباشرت وصنعت الولائم وأقامت الأفراح .ولم يكن الشعر عند العرب ضرباً من الترف أو مقصوراً على فئة قليلة من الناس بلكان الفن الرفيع الذي يجد فيه الناس تعبيراً عن عواطفهم وسجاياهم، فأقبلوا عليه وحفظوه وتدارسوه واهتموا به.

وقد قامت عنايتهم بالشعر منذ العصر الجاهلي متمثلة في (الرواية) ، وهي الوسيلة الأولى لنشر الشعر و ذيوعه وحفظه، فكان للشاعر رواية يلازمة وينقل عنه شعر ه ويتأثر به فزهير بن أبي سلمى راوية لأوس بن حجر وكعب بن زهير راو ية لأبيه والحطيئة راو ية لكعب وهدبة راوية للحطيئة وجميل بن معمر رواية لهدبة وكثير عزة راوية لجميل.

وكانت القبائل تحرص على رواية شعرها، و تعلم صغارها الشعر، وحفظ أشعار القبيلة خاصة،كما فعلتق بيلة تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم:

إلهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبداً مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

فالشعر عند العرب غذاء وطرب وعلم وسمر لم يكن لهم علم أصح منه، وبقي هذا شأن الشعر حتى جاء الإسلام. و على الرغم من انشغال العرب بالإسلام والقرآن والفتوحات فإنهم لم يهجروا الشعر ولم يتركوا روايته، وكيف يكون ذلك وكان الرسول صلى الله علي وسلم يستمع للشعر ويستحسنه ويوجهه، إضافة إلى استخدامه في مواجهة الكفار.

كما أنه يستمع لشعر عنترة الجاهلي فيقول : (ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة) .

ويسمع قول لبيد بن ربيعة:

ألا كل شي ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

فيقول :أصدق كلمة قالها الشعر قول لبيد .

وكذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار ويروونها ويحكمون فيها ما دامت غير متعارض مع تعاليم الإسلام .واتصلت الرواية في عهد الخلفاء الراشدين وكان لهم نصيب من رواية الشعر وإنشاده وحفظه،فكان أبو بكر كثير الحفظ كثير الرواية، ولذلك كان رسول الله يسأله أحياناً عن صحة بعض الشعر.

وكان عمر بن الخطاب يتمثل بالشعر في كل مناسبة، وكان يعجب بزهير بن أبي سلمى وينشد شعره .وكذلك كان الحال مع علي رضي الله عنه.

وفي العهد الأموي نشطت الحركة الأدبية وعلى مكانة الشعراء وكانوا يجزلون لهم العطاء، بل إن معاوية بن أبي سفيان حرص على تدوين أخبار الجاهلية .وقد كثر المؤدبة الذين يعلمون الناشئة الشعر والأخبار وأيام العرب وغيرها .وكانوا يتنافسون في حفظ الشعر ومعرفة فنونه وغريبة وأشعار القبائل.

وقد وجد بين رواة الشعر من لم يكن شاعرا ، وإنما اتخذ من الرواية مهنة له .وإلى جانب جماع الشعر ورواته كانت هنا فئة القصاصين الذين يجتمع حولهم الناس في المساجد، حيث يستشهدون بالشعر ويتمثلون به .وكذلك كان المؤرخو ن ورواة السيرة النبوية كابن إسحاق.

وفي منتصف القرن الثاني نجد هناك جمهرة من الرواة والعلماء المحترفين انصرفوا للرواية وتفرغوا لها، فاشتهروا بكثرة حفظهم وسعة علمهم وإحاطتهم باللغة والشعر والأخبار .وانطلقوا نحو البادية يأخذون من الأعراب . ومن أوائل الرواة المتقدمين محمد بن السائب الكلبي (١٤٦) و أبو عمر بن العلاء (١٥٤) و حماد الراوية (١٥٦) والمفضل الضبي (١٧٠) وخلف الأحمر (١٨٠) .

ومن أهم أسباب الاهتمام بالشعر وجمعه :

١ – الحفاظ على القرآن الكريم ومعرفة تفسيره . يقول ابن عباس رضي الله عنه : "إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فإن الشعر ديوان العرب".

٢ – كما كان من أسباب الجمع ودراسة الشعر استنباط قواعد اللغة وحركاتها.

٣ – كذلك كان الاهتمام به لمعرفة الأيام والأخبار والأنساب لدى العرب، فقدكان ديوانهم وسجل حياتهم.

وقد صار الرواة في هذا العصر فئتين اثنتين لكل منهما أسلوب ومنهج خاص :

–<u>الرواة الكوفيين</u> : وعرفوا بنقل الشعر الكثير و الاعتماد على السمع، وهم متسامحون في روايته قليلاً ما يقفون عنده للتحقق من صحته .ومن أشهر

رواتهم(المفضل الضبي) صاحب المفضليات الذي اشتهر بالأمانة وكذلك(ابن الأعرابي)و(ثعلب)كما وجد في هذه الفئة من اشتهروا بالكذب والوضع والنحل من أمثال(حماد الرواية).

-<u>الرواة البصريين</u> : وقد عرفوا بصدقهم ودقتهم وتحريهم وعدم ميولهم لكل شيء شاذ ، يأتي في مقدمتهم أبو عمر بن العلاء، وهو أحد القراء السبعة والأصمعي صاحب الأصمعيات .ومثلما كان في الكوفة رواة فاسدون كذلك فقد كان في البصرة من أمثال خلف الأحمر الذي سار على سيرة أستاذه حماد الرواية .وكلا الشخصيتين (حماد- وخلف)عالم طماع فاسد المروءة، متهم في دينه فاسق، وكلاهما من الموالي، وإن كان خلف الأحمر قد عدل من ذلك في أخريات حياته.

<u>وعلى العموم يمكن أن تخرج بنتيجتين هامتين في أمر رواية الشعر :</u>

١ -أن رواية الشعر لم تنقطع واستمرت زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده حتى عصور التدوين، وإن كان قد ضاع بعض من هذا الشعر كما يقول أبو عمر بن العلاء : (ما انتهى إليكم من كلام العرب إلا أقلة ولو جاءكم وافر لجاءكم علم وشعر كثير).

٢ -أن الشعر لم يكن ألعوبة في يد قلة قليلة من الرواة الوضاعين، بل كان وراءهم علماء ثقات يصححون وينتقدون ولا ينتقلون سوى الصادق كأبي عمر بن العلاء والأصمعي والمفضل الضبي.

مصادر الشعر الجاهلي

وهي تلك الذخائر الأدبية الباقية من آثار العلماء والأدباء والرواة المشتملة على تراث الجاهليين الشعري، ويمكن أن تصنفها إلى قسمين أساسيين : (قسم المجموعات أو المختارات – وقسم دواوين القبائل أو الأفراد) و من أهم تلك المصادر نذكر:

أولاً : المجموعات أو المختارات الشعرية

١ –المعلقات : وقد اختلفوا في تسميتها وسبب تلك التسمية وعددها وأصحابها، فهي مجموعة القصائد تضم عيوناً من الشعر الجاهلي اختارتها العرب من بين أشعارها لما رأوا من عظيم شأنها. والجميع يتفق على أصالتها وعلو درجتها الفنية والثقة بها.

٢ –المفضليات :وهي مجموعة من القصائد سمين باسم جامعها وهو(المفضل الضبي ( )ت ١٦٤) من رواة الكوفة .والشائع أنه جمعها لتلميذه(المهدي) حين كان مؤدباً له، وهي مئة وست وعشرون قصيدة أضيف لها أربع قصائد وجدت في بعض النسخ.

٣ –الأصمعيات : وهي منسوبة إلى جامعها الر اوية المشهور (الأصمعي) وتشمل اثنين وتسعين قصيدة لواحد وسبعين شاعراً معظمهم جاهليون وهي تشترك مع المفضليات في تسع عشرة قصيدة والغالب على قصائدها قصر القطع المختارة.

٤ –جمهرة أشعار العرب : وهي منسوبة إلى أبي زيد بن محمد بن الخطاب القرش، وهي مقسمة إلى سبعة أقسام، وتضم تسعاً وأر بعين قصيدة.

٥ –مختارات ابن الشجري : وهي لهبة الله العلوي بن أحمد بن الشجري(ت ٥٤٢)

٦ –دواوين الحماسة :

أ – حماسة أبي تمام (٢٣١) وقد جعلها في عشرة أبواب يتصدر أولها باب الحماسة ولذلك سميت به .وقد قصر أبو تمام اختياره على شعراء الجاهلية والإسلام، ومعظم أشعارهم غير مشهورة ومن أشهر شراحها التبريزي والمرزوقي.

ب– حماسة البحتري :وهي للشاعر البحتري) ١٨٤ (ألفها إجابة لطلب الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل ولكنها لم تصل لمستوى سابقتها.

ج– حماسة الخالديين والحماسة العربية والحماسة البصرية وحماسة ابن الشجري.

ثانياً : الدواوين الشعرية فهي نوعان :

١ – دواوين القبائل :حيث جمعت في مؤلفات خاصة، تعنى كل قبيلة فيها بجمع أشعارها وأخبارها وجعلها في كتاب خاص ليبقى سجلاً خالدا. فمثلاً يذكر ابن النديم في كتابه (الفهرست) أشعار الأزد – أشعار هذيل – أشعار بن أسد– أشعار بجيلة – أشعار ثعلب... إلخ ولكن لم يصل إلينا منها مع كثرتها إلا (أشعار لهذليين) وهو بالطبع لا يحوى جميع شعرائهم.

٢ – دوواين الأفراد :ويقصد بها تلك الكتب التي تشمل على شعر شاعر خاص، وقد كان لبعضها حظ البقاء إلى عصرنا هذا وبعضها روي بروايات مختلفة .ومن أهم الشعراء الذين ورد ذكر دواوين لهم(امرؤ القيس وأمية بن أبي الصلت وأوس بن حجر والخنساء وطرفة بن العبد وعروة بن الورد ولبيد بن ربيعة) ولكن ومع ذلك الكم المجموع إلا أنه لا يزال شعر كثير من الشعراء مبعثراً في كتب الأدب والتاريخ.

أغراض الشعر الجاهلي:

أغراض الشعر الجاهلي هي الموضوعات التي نظم فيها شعراء الجاهلية شعرهم؛ فإذا كان قصد الشاعر وغرضه من الشعر الاعتزاز بنفسه أو قبيلته فشعره فخر، وإذا كان قصد الشاعر التعبير عن الإعجاب بشخص ما في كرمه أو شجاعته أو غير ذلك فشعره مدح، وإذا كان قصده وغرضه النيل من شخص ما وتحقيره فذلك الهجاء، وإذا كان الشاعر يهدف إلى إظهار الحزن والأسى فذلك الرثاء، وإذا حَلَّقَ الشاعر في الخيال فرسم صوراً بديعة فذلك الوصف، وإذا عَبَّر عن حديثه مع النساء فذلك الشعر هو الغزل، وإذا استعطف بشعره أميراً أو غيره فهو الاعتذار، وإذا نظر في الكون وحياة الناس فتلك الحكمة.

وأغراض الشعر الجاهلي التي نريد بسط القول فيها هي: المدح، الهجاء، الرثاء، الفخر، الوصف، الغزل، الاعتذار، الحكمة، مع أن القصيدة العربية الواحدة تشمل عدداً من الأغراض؛ فهي تبدأ بالغزل ثم يصف الشاعر الصحراء التي قطعها ويتبع ذلك بوصف ناقته، ثم يشرع في الغرض الذي أنشأ القصيدة من أجله من فخر أو حماسة أو مدح أو رثاء أو اعتذار، ويأتي بالحكمة في ثنايا شعره فهو لا يخصص لها جزءاً من القصيدة.

ومن أهم أغراض الشعر الجاهلي المدح فلنبدأ به:

المدح :

يعتبر غرض المدح من أهم الأغراض التي قال فيها شعراء الجاهلية شعرهم؛ ذلك أن الإعجاب بالممدوح والرغبة في العطاء تدفعان الشاعر إلى إتقان هذا الفن من القول، فيسعى الشاعر إلى قول الشعر الجيد الذي يتضمن الشكر والثناء، وقد يكون المديح وسيلة للكسب. والصفات التي يُمْدَحُ بها الممدوح هي: الكرم والشجاعة ومساعدة المحتاج والعفو عند المقدرة وحماية الجار، ومعظم شعراء الجاهلية قالوا شعراً في هذا الغرض، فهم يمدحون ملوك المناذرة في الحيرة أو ملوك الغساسنة بالشام ويأخذون عطاءهم وجوائزهم. وكانت صلة طرفة بن العبد والمتلمس والنابغة الذبياني وثيقة بملوك الحيرة، وصلة النابغة بالنعمان بن المنذر أقوى من غيره من الشعراء وهذا يدل على أن قوة الشاعر في الجاهلية مرتبطة بتقدمه في هذا الغرض الذي هو غرض المدح، ولا يقل بلاط الغساسنة عن بلاط المناذرة في استقبال الشعراء فهم (أي الغساسنة) يغدقون المال الوفير على من يمدحهم من الشعراء، ومن أشهر الشعراء الذين يفدون على ملوك غسان حسان رضي الله عنه. ومن فحول الشعراء من

جعل غُرَّ قصائده في رؤساء قومه كما فعل زهير بن أبي سلمى.

وإذا رجعنا إلى دواوين الشعر الجاهلي وجدنا المدح يحتل نسبة عالية من هذه الدواوين، وهذا دليل على أنه الغرض المقدم على غيره عند الشعراء.

ومن ذلك مدح زهير بن أبي سلمي لهرم بن سنان والحارث بن عوف :

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِّي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ

يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ

تَدَارَكْتُما عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ

عَظِيمَيْنِ في عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنْ المَجْدِ يَعْظُمِ

الهجاء :

سبيل الشاعر إلى غرض الهجاء وهدفه منه: تجريد المهجو من المُثُل العليا التي تتحلى بها القبيلة، فيجرد المهجو من الشجاعة فيجعله جباناً، ومن الكرم فيصفه بالبخل، ويلحق به كل صفة ذميمة من غدر وقعود عن الأخذ بالثأر بل إن الشاعر يسعى إلى أن يكون مهجوه ذليلاً بسبب هجائه، ويؤثر الهجاء في الأشخاص وفي القبائل على حد سواء فقبيلة باهلة ليست أقل من غيرها في الجاهلية ولكن الهجاء الذي تناقله الناس فيها كان له أثر عظيم وهذا هو السر الذي يجعل كرام القوم يخافون من الهجاء ويدفعون الأموال الطائلة للشعراء اتقاء لشرهم.

وممن خاف من الهجاء الحارث بن ورقاء الأسدي؛ فقد أخذ إبلاً لزهير ابن أبي سلمى الشاعر المشهور، وأسر راعي الإبل أيضاً فقال فيه زهير أبياتاً منها:

لَيَأتِيَنّكَ منّي مَنْطِقٌ قَذعٌ باقٍ كما دَنَّسَ القَبْطِيَّة الوَدكُ

فاردُدْ يَسَاراً ولا تَعْنُفْ عَلَيْهِ وَلاَ ◌َمْعَكْ بِعِرْضِكَ إن الغَادِرَ المعِكُ

القبطية :ثياب كتان تعمل في مصر ،الودك

:الدسم .

يسار :راعي الأبل ،المعك :المطل.

الرثاء :

هو إظهار الحزن والأسى والحرقة، وتبرز جودة الرثاء إذا كان في ابن أو أخ أو أب؛ فرثاء دريد بن الصمة لأخيه عبد الله من أجود الرثاء، ورثاء الخنساء يعتبر من الرثاء المؤثر في النفوس، وكانت تشهد عكاظاً وتدور في السوق وهي في هودج على جمل وقد وضعت علامة على هودجها ثم تقوم بإنشاد الشعر فتؤثر في من تمر به.

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعَا إنّ الذي تَحْذَرين قد وَقَعا

إنَّ الذي جَمَّعَ السَّمَاحةَ والنَّـ جْدَةَ والحَزْمَ والقُوَى جُمَعَا

الألْمَعِيَّ الذي يَظُنُّ لَكَ الظّـ نَّ كأن قَدْ رَأى وَقدْ سَمِعَا

الألمعي: الذكي الذي إذا سمع أول الكلام عرف آخره.

ومن خلال تتبعنا لأبيات هذه القصيدة يتبين لنا أن الرثاء مدح للميت ونشر لفضائله؛ فأوس ذكر في أبياته أن فضالة يتصف بالسماحة والنجدة والحزم والذكاء والتدبير الحسن، وهذه من الصفات التي يمدح بها فضالة عندما كان حياً فالرثاء في الجاهلية تذكير للناس بما كان يتصف به ذلك الرجل الذي اختطفته يد المنون.

الفخر والحماسة :

الفخر هو الاعتزار بالفضائل الحميدة التي يتحلى بها الشاعر أو تتحلى بها قبيلته، والصفات التي يفتخر بها الشعراء هي الشجاعة والكرم والنجدة ومساعدة المحتاج، والفخر يشمل جميع الفضائل. أما الحماسة فهي الافتخار بخوض المعارك والانتصارات في الحروب، فالحماسة تدخل في الفخر ولكن ليس كل فخر حماسة، فنجد الحماسة في أشعار عنترة العبسي وعمرو ابن كلثوم، ومعلقة عمرو تفيض بالحماسة ومن ذلك قوله:

متى نَنْقُلْ إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طَحينا
يكونُ ثِفالُهَا شَرْقِيَّ نَجْد وَلَهْوَتُها قُضَاعَة أَجْمَعِينَا

وأبيات ربيعة بن مقروم التالية تعرض علينا جوانب الفخر المتعددة حيث يقول:

وإن تسأَليني فإني امر أُهين اللئيم وأَحْبو الكريما
وأبني المعاليَ بالمكرما تِ وأُرْضِى الخليلَ وأروى النَّديمَا
وَيَحْمَدُ بذلي له مُعْتَفٍ إذَا ذَمَّ من يَعْتفيه اللِّئيمَا
وأجزي القرُوض وفاءً بِهَا بِبُؤْسَى بئيسىَ ونُعمى نَعيمَا
وقومي فإن أنت كَذَّبْتني بقوليَ فاسأَلْ بقومي عَليمَا
أليسُوا الذين إذا أزْمَةٌ ألحَّتْ على الناس تُنْسِي الحُلومَا
يُهينُون في الحق أموالَهُم إذَا اللَّزَبَاتُ التَحَيْنَ المُسيما
طِوَالُ الرِّماحِ غَدَاة الصَّباحِ ذَوُو نَجْدَةٍ يَمْنَعُونَ الحريما
بَنُو الحَرْبِ يوماً إذَا اسْتَلأمُوا حَسِبْتَهُمُ في الحدِيدِ القُرُوما

أحبو: أعطي. المعتفي: المعترض من غير مسألة. البؤسى والبئيسى: بمعنى واحد. اللزبة: الشدة والقحط. التحين: قشرن. المسيم: صاحب الإبل والغنم أخذ اسمه من السائمة. الحريم: ما يجب عليهم منعه. استلأموا: لبسو اللأمة وهي السلاح. القروم: فحول الإبل، ويأتي القوم بمعنى السيد.

الغزل:

هو التحدث عن النساء ووصف ما يجده الشاعر حيالهن من صبابة وشوق وهيام، وقد طغى هذا الغرض على الشعراء فأصبحوا يصدرون قصائدهم بالغزل لما فيه من تنشيط للشاعر واندفاعه في قول الشعر، ولما فيه من تنشيط للمستمع لذلك الشعر، ومن أجمل مطالع القصائد الغزلية قول المثقب العبدي:

أفاطِمُ قبْلَ بَينِكِ مَتَّعيني ومَنْعُكِ مَا سَألتُ كأن تَبِيني
فَلَا تَعِدِي مَواعِدَ كاذباتٍ تَمرُّ بِهَا رِيَاحُ الصَّيفِ دُونِي
فَإنّي لَوْ تُخَالِفُني شِمَالِي خِلاَفَكِ مَا وَصَلْتُ بِهَا يميْنِي
إذاً لَقَطَعْتُهَا ولَقُلْتُ بِيْني كَذَلكَ أجْتَوِي مَنْ يَجْتويني

الاجتواء: الكراهة.

وإذا تتبعنا الغزل الجيد المؤثر في النفس وجدناه الناتج عن التذكر واسترجاع المواقف الماضية سواء كان في صدر القصيدة أو غزلا مقصوداً لذاته، فهذا المُرَقِّش الأصغر يقول في تذكر موقف غزل:

صَحَا قَلْبُه عَنْهَا عَلى أَن ذِكْرَةً إذَا خَطَرَتْ دارَتْ بِهِ الأرَضُ قائماَ

وهذا بشر بن أبي خازم يقول:

فَظَلِلْتَ من فَرْطِ الصَّبَابَةِ والهَوَى طَرِفاً فؤادُكَ مِثْل فِعْل الأيَهْمِ

طرفاً: يذهب هنا وهناك، والأيهم: الذاهب العقل.

وإذا كان بعض الشعراء يعبرون عن لوعتهم وحبهم في أبيات تصور خلجات النفس وتأثرها بالحب فإن عدداً من شعراء الجاهلية يتعدون ذلك إلى وصف المرأة وصفاً كاملاً فيصفون وجهها وعينيها وقوامها ورقبتها وأسنانها وغير ذلك، ومن هؤلاء الأعشى وامرؤ القيس بل إن امرأ القيس لا يتورع عن ذكر ما يجري بينه وبين المرأة. وغرض الغزل وإن كان يستدعي أسلوباً ليناً رقيقاً إلا أننا لا نجد ذلك إلا عند القليل من الشعراء الجاهليين.

أما معظم شعراء الغزل في الجاهلية فأسلوبهم يتصف بالقوة والمتانة ولا يختلف عن أسلوب المدح أو غيره من الأغراض.

الوصف :

الوصف من الأغراض التي برع فيها شعراء الجاهلية وهو يرد في معظم أشعارهم؛ فالشاعر الجاهلي يركب ناقته في أسفاره، فيصفها وصفاً دقيقاً، وهو يمر بالصحراء الواسعة فيصورها تصويراً بارعاً، يصف حرارتها قي القيظ وما فيها من السراب الخادع، ويصف برودتها في الشتاء، ويركب فرسه للنزهة أو للصيد فيصفه. وقد برع شعراء الجاهلية في وصف الفرس وإعداده للصيد، ونجد ذلك عند امرىء القيس وأبي دؤاد الإيادي ، كقول امرئ القيس :

وقد أغتَدي والطّيرُ في وُكُناتِها بمُنجَردِ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلِ

مِـكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللّبْدُ عن حاذِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصّفْوَاءُ بِالمُتَنَزّلِ

وقوله: وقد أغتدي أي: أخرج غدوة للصيد . " الوكنة " : عشّ الطائر الذي يبيض فيه .مكر :يصلح للكَرّ، مِفَرٍّ: يَصْلُحُ للفَرّ، ومقْبِلٍ حسَنِ الإقبالِ، مُدْبِرٍ: حَسَنِ الإدبارِ .وحَطَّهُ السَّيْل :حَدَرَهُ . ومعنى البيتِ :أنَّهُ يَصِفُ أنَّ هذا الفَرَسَ في سُرْعَتِهِ بمنزلةِ هذهِ الصخرةِ التي قدْ حَطَّهَا السيلُ في سُرْعَةِ انْحِدَارِها، وأنَّ هذا الفرسَ حَسَنُ الإقبالِ والإدبارِ .ومِنْ عَلِ أيْ: مِنْ فَوْقُ .

كميت :أحمر ، (عنْ حَال مَتْنِهِ)؛ وَسَطِهِ .شَبَّهَ مَلاسَةَ ظَهْرِ الفرسِ؛ لاكتنازِ اللَّحْمِ عليهِ وامتلائِهِ، بالصَّفاةِ المَلْسَاءِ .والصفاةُ والصَّفْوَاءُ :الصَّخْرَةُ المَلْسَاءُ التي لا يَثْبُتُ فيها شيءٌ،.والمُتَنَزِّل: الطائرُ الذي يَتَنَزَّلُ على الصخرةِ .وقيل المُتَنَزِّلُ السَّيْلُ؛ لأنَّهُ يَتَنَزَّلُ الأشياءَ.وقيلَ: هوَ المطرُ .

وقد وصفوا الرياض والطيور وقرنوا الغراب بالشؤم ولم يتركوا شيئاً تقع عليه أبصارهم إلا وقد أبدعوا في وصفه. فهذا عنترة يصف ذباباً في روضة فيقول:

جَادَتْ علَيها كُلُّ عيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حدِيقةٍ كَالدِّرْهَمِ

سَحّاً وتسْكاباً فَكلُّ عَشِيَّةٍ يَجْري علَيها المَاءُ لم يَتَصَرَّمِ

فَتَرى الذُّبَابَ بها يُغَنِّي وَحْدَهُ هَزْجاً كفِعْلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ

غَرِداً يَسِنُّ ذِراعَهُ بذِراعِهْ فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنَادِ الأَجْذَمِ

أي جادت بالمطر، والثرة الكثيرة،. وشبه بياضه ببياض الدرهم، لأن الماء لما اجتمع استدار أعلاه فصار كدور الدرهم. تسكاب تفعال من السكب، وهو بمعناه، وسحا منصوب على المصدر لأن

قوله :جادت عليه يدل على السح، فصار بمنزلة قول العرب هو يدعه دعا.لم يتصرم لم يتقطع،وخص مطر العشي لأنه أراد الصيف، وأكثر ما يكون بالليل مطره. الغرد: من قولهم غرد الشيء يغرد تغريدا إذا طرب، وأخرج غردا على قوله غرد يغرد غردا فهو غرد، والمعنى وخلا الذباب بها غردا ببارح أي بزائل، ويقال ما برحت قائما أي ما زلت. الهزج: السريع الصوت، والهزج خفة، ومعنى يسن ذراعه بذراعه :أي يمر بإحداهما على الأخرى وكذلك الذباب

يريد قدح المكب الأجذم على الزناد، فهو يقدح بذراعه، فشبه الذباب به إذا سن ذراعه بالأخرى، وقال بعضهم: الزناد هو الأجذم، وهو قصير، فهو أشد لإكبابه عليه، فشبه الذباب إذا سن ذراعه بالأخرى برجل أجذم قاعد يقدح نارا بذراعه. والأجذم المقطوع اليد.

فغرض الوصف في العصر الجاهلي غرض ليس مقصوداً لذاته وإنما يأتي في عرض القصيدة ليتوصل الشاعر إلى غرضه الرئيس من المدح أو الهجاء أو الرثاء أو الفخر.

الاعتذار :

الاعتذار هو استعطاف المرغوب في عفو، حيث يبين الشاعر ندمه على ما بدر منه من تصرُّفٍ سابق. وتقديم العذر في عرض ملائم يقنع المُعْتَذَرَ إليه المرجو عفوه يدل على مهارة في القول وتفنن في الشعر. وزعيم الاعتذار في العصر الجاهلي هو النابغة الذبياني الذي قال أجود اعتذار قيل في ذلك العصر للنعمان بن المنذر ملك الحيرة، ومما خاطب به النعمان من ذلك الاعتذار قوله:

فَلاَ لَعَمْرُ الذي مَسّحْتُ كَعْبَتَهُ ... وما هُريقَ على الأنْصَاب من جَسَدِ

والمُؤمنِ العَتِقَاتِ الطّيْر يَمْسَحُهَا ... رُكْبَانُ مكةَ بين الغَيْلِ والسّنَدِ

ما قُلْتُ من سَيء مِمّا أُتِيْتَ بِه ... إذاً فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إلَيَّ يَدِي

الأنصاب: حجارة تذبح عليها الذبائح. يمسحها: يمرون بها. والغيل ماء يخرج من جبل أبي قبيس في مكة. والسند: ما قارب الأرض من سفح الجبل.

فَلَو غيرُ أخوالي أرادوا نَقِيصَتي ... جَعَلْتُ لهُم فَوْقَ العَرَانين مِيْسَمَا

ومَا كُنْتُ إلاَّ مِثْل قَاطِعِ كَفِّهِ ... بِكَفٍّ لهُ أُخرَى فَأَصْبَحَ أَجْذما

الأجذم: مقطوع اليد. والاعتذار من الأغراض الرئيسة فهو مقرون بغرض المدح؛ لأن الشاعر لا يأتي به وسيلة لغيره وإنما ينشيء القصيدة من أجله، لأن غرض الشاعر من قول الاعتذار هو الحصول على عفو لا يَتَأَتَّى إلا عن طريق الاعتذار الجيد، كما أن المال لا يحصل للشاعر إلا عن طريق المدح الجيد، فغرض الوصف ترف في القول أما الاعتذار فهو هدف يسعى إليه الشاعر، وغرض الاعتذار من الأغراض الصعبة التي لا يجيد القول فيها إلا من أوتي زمام الشعر كالنابغة الذبياني.

الحكمة :

الحكمة قول ناتج عن تجربة وخبرة ودراية بالأمور ومجرياتها، ولا يقولها إلا من عركته الأيام ووسمته بميسمها، فهي تختلف عن الغزل الذي يقوله الشاعر في أول شبابه، والحكمة لها الأثر البالغ في النفوس، فربما اشتهر الشاعر ببيت يشتمل على حكمة جيدة فيحفظه الناس و يتناقلونه، وتشتهر القصيدة أو شعر ذلك الشاعر بسبب تلك الحكمة، والحكمة ليست غرضاً مقصوداً لذاته وإنما هي من الأغراض التي تأتي في عروض الشعر، وقد اشتهر عدد من الشعراء بحكمهم البليغة، ومن أولئك زهير بن أبي سلمى الذي بث حكمه القوية في شعره فاشتهرت وتردّدتْ على ألسن الناس قديماً وحديثاً. وإذا نظرنا في معلقة زهير وجدناها تحظى بالكثير من حكمه ومن ذلك قوله:

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَياةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلكِنّني عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىءْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ في أُمُورٍ كَثِيرةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إلى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وهنا يبوح الشاعر بمشاعره فيقول مللتُ مشاق الحياة وشدائدها , ومن عاش ثمانين سنة مل الكبر لا محالة.

وقد رأيت المنايا تصيب الناس على غير نسق ولا ترتيب وبصيرة كما أن الناقة تطأ على غير بصيرة , ثم قال : من أصابته المنايا أهلكته ومن أخطأته أبقته فبلغ الهرم. ويخبر أن من لم يصانع الناس ويداريهم في كثير من الأمور قهروه وغلبوه وأذلوه وربما قتلوه كالذي يضرّس بالناب ويطأ بالمنسم .ويستمر في سرد الجكم فيقول من بذل معروفه صان عرضه،و من كان صاحب مال وفضل فيبخل به استغنى عنه الناس وذموه. ومن أوفى بعهده لم يلحقه ذم .ومن خاف وهاب أسباب المنايا نالته ولم يجد عليه خوفه وهيبته إياها نفعا ولو رام الصعود إلى السماء فراراً منها.

والحكم في الجاهلية تعبر عن التمسك بالمثل العليا السائدة في المجتمع، فهي ترشد إلى الأخلاق الفاضلة التي ترفع من قدر الإنسان عندما يتمسك بها، والحكمة ليس لها مكان معين في القصيدة؛ فقد تأتي مبثوثة في القصيدة، وقد تأتي في أول القصيدة أو في آخرها.

أعلام الشعراء ونماذج محللة من أشعارهم

أ- امْرُؤُ القَيْس :

امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق. يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج، وقيل مليكة، وقيل عديّ. وكان أبوه ملك أسد وغطفان.

وأمه أخت المهلهل الشاعر، فلقنه المهلهل الشعر، فقاله وهو غلام، وجعل يشبب، ويلهو، ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته. فأبعده إلى (دمّون) بحضرموت، موطن آبائه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. فأقام زهاء خمس سنين، ثم جعل يتنقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه وقتلوه، فبلغ ذلك امرأ القيس وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم، ولا سكر غدا! اليوم خمر، وغدا أمر!، ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعرا كثيرا. وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار (آباء امرئ القيس) فأوعزت إلى المنذر (ملك العراق) بطلب امرئ القيس، فطلبه، فابتعد، وتفرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره. فمكث عنده مدة. ثم رأى أن يستعين بالروم على الفرس. فقصد الحارث ابن أبي شمر الغساني (والي بادية الشام) فسيره هذا إلى قيصر الروم يوستينيانس Justinianus (ويسمى Justinien ler في القسطنطينية، فوعده ومطله، ثم ولاه إمرة فلسطين (البادية) ولقّبه (فيلارق) Phylarck) أي الوالي، فرحل يريدها. فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح. فأقام إلى أن مات في أنقرة. ومن أروع أشعاره المعلقة، ويقول في مقدمتها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ
تَرَى بَعَرَ الأَرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ
كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وُقُوْفـاً بِهَـا صَـحْبِي عَلَّـي مَطِيَّهُـمُ يَقُوْلُـــوْنَ لاَ تَهْلِـــكْ أَسَـــىً وَتَجَمَّـــلِ
وإِنَّ شِفـــــاَئِي عَبْـــــرَةٌ مُهْرَاقَـــــةٌ فَهَـــلْ عِنْـــدَ رَسْـــمٍ دَارِسٍ مِـــنْ مُعَـــوَّلِ
كَـــدَأْبِكَ مِـــنْ أُمِّ الحُـــوَيْرِثِ قَبْلَهَـــا وَجَـــــارَتِهَا أُمِّ الرَّبَـــــابِ بِمَأْسَـــــلِ
إِذَا قَامَتَـــا تَضَـــوَّعَ المِسْـــكُ مِنْهُمَـــا نَسِـــيْمَ الصَّـــبَا جَـــاءَتْ بِرَيَّـــا القَرَنْفُـــلِ
فَفَاضَـتْ دُمُـوْعُ العَـيْنِ مِنِّـي صَـبَابَةً عَلَـى النَّحْـرِ حَتَّـى بَـلَّ دَمْعِـي مِحْمَلِـي

ب- زهير بن أبي سلمى :

هو زهير بن أبي سلمى . واسم أبي سلمى : ربيعة بن رباح المزني من مزينة ابن أد بن طايخة. وكانت محلّتهم في بلاد غطفان ، فظنّ الناس أنّه من غطفان ، وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة أيضاً .

وهو أحد الشعراء الثلاثة الفحول المقدّمين على سائر الشعراء بالاتّفاق ، وإنّما الخلاف في تقديم أحدهم على الآخر ، وهم : امرؤ القيس وزهير والنابغة . ويقال : إنّه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير ، وكان والد زهير شاعراً ، وأُخته سلمى شاعرة ، وأُخته الخنساء شاعرة ، وابناه كعب ومجبر شاعرين ، وكان خال زهير أسعد بن الغدير شاعراً . ويظهر من شعر ينسب إليه أنّه عاش طويلا، إذ يقول متأفّفاً من هذه الحياة ومشقّاتها حتّى سئم منها :

سـئمتُ تكـاليفَ الحيـاةِ ومـنْ يعـشْ ثمـــانينَ حـــولاً لا أبـــا لـــك يســـأمِ

ويبدأ زهير معلّقته بالحديث عمّا صارت إليه ديار الحبيبة ، فقد هجرها عشرين عاماً ، فأصبحت دمناً بالية، وآثارها خافتة ، ومعالمها متغيّرة ، فلمّا تأكّد منها هتف محيّياً، ودعا لها بالنعيم :

أمـــن أُمّ أوفـــى دِمنـــةٌ لـــم تَكَلَّـــمِ بحَوْمانَـــــــةِ الـــــدّرّاجِ فـــــالمتثَلَّمِ
وقفـتُ بهـا مـن بعـدِ عشـرينَ حجّـةً فَلَأيـــاً عرفـــتُ الـــدار بعـــد تـــوهُّمِ
فلمّـــا عرفـــتُ الـــدار قلـــت لربعهـــا ألا أنعـــم صـــباحاً أيّهـــا الربـــع وأســـلمِ

ثمّ عاد بالذاكرة إلى الوراء يسترجع ساعة الفراق ، ويصف النساء اللاتي ارتحلن عنها ، فيتبعهنّ ببصره كئيباً حزيناً ، ويصف الطريق الّتي سلكنها ، والهوادج التي كنّ فيه:

بكــرن بكــوراً واســتحرنَ بســحره فهــنّ ووادي الــرسّ كاليــدِ للفــمِ
جعلــن القنــان عــن يمــين وحزنــه وكــم بالقنــان مــن محــلّ ومحــرمِ
فلمّــا وردنَ المــاء زرقــاً جمامــه وضــعْنَ عِصِــيَّ الحاضــرِ المتخــيَّمِ
وفــيهنّ ملهــى للّطيــف ومنظــر أنيــق لعــين النــاظر المتوسّــمِ

وكأنّه حينما وصل إلى هذا المنظر الجميل الفتّان سبح به خاطره إلى جمال الخلق وروعة السلوك ، وحبّ الخير والتضحية في سبيل الأمن والاستقرار ، فشرع يتحدّث عن الساعين في الخير ، المحبّين للسلام ، الداعين إلى الإخاء والصفاء ، فأشاد بشخصين عظيمين هما هرم والحارث ، وذلك لموقفهما النبيل في إطفاء نار الحرب بين عبس وذبيان ، وتحمّلهما ديات القتلى من مالهما وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير ، قال :

سعى ساعياً غيظ من مرّة بعدما تبــزّل مــا بــين العشــيرة بالــدمِ
فأقسمت بالبيت الّذي طاف حوله رجــال بنــوه مــن قــريش وجــرهمِ
يمينــاً لــنعم السّــيّدان وُجــدتما علــى كــلّ حــال مــن ســحيل ومبــرمِ
تــداركتما عبســاً وذبيــان بعــدما تفــانوا ودقّــوا بيــنهم عطــر منشــمِ
وقد قلتما : إن ندرك السلم واسعاً بمــال ومعــروف مــن القــول نسـلمِ
فأصبحتما منها على خير موطن بعيــدين فيهــا مــن عقــوق ومــأثمِ

ج- عنترة بن شداد :

هو عنترة بن شداد العبسي من قيس عيلان من مضر، وقيل : شداد جده غلب على اسم أبيه ، وإنما هو عنترة بن عمرو بن شداد ، و اشتقاق اسم عنترة من ضرب من الذباب يقال له العنتر، وإن كانت النون فيه زائدة فهو من العَتْرِ و العَتْرُ الذبح و العنترة أيضاً هو السلوك في الشدائد و الشجاعة في الحرب، وإن كان الأقدمون بأيهما كان يدعى : بعنتر أم بعنترة فقد اختلفوا أيضاً في كونه اسماً له أو لقباً، وكان عنترة يلقب بالفلحاء . لفلح . أي شق في شفته السفلى، وكان يكنى بأبي المعايش وأبي أوفى وأبي المغلس لجرأته في الغلس أو لسواده الذي هو كالغلس ، و قد ورث ذاك السواد من أمه زبيبة ، إذ كانت أمه حبشية و بسبب هذا السواد عدة القدماء من أغربة العرب . وشاءت الفروسية والشعر والخلق السمح أن تجتمع في عنترة ، فإذا بالهجين ماجد كريم ، و إذا بالعبد سيد حر . ومما يروى أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بني عبس فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم، وعنترة فيهم فقال له أبوه: كر يا عنترة ، فقال عنترة : العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر ، فقال كر وأنت حر ، فكر وأبلى بلاء حسناً يومئذ، فدعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه ، و قد بلغ الأمر بهذا الفارس الذي نال حريته بشجاعته أنه دوخ أعداء عبس في حرب داحس والغبراء، الأمر الذي دعا الأصمعي إلى القول بأن عنترة قد أخذ الحرب كلها في شعره، وبأنه من أشعر الفرسان . أما النهاية التي لقيها فارسنا الشاعر فالقول فيها مختلف؛ فئة تقول بأن إعصاراً عصف به وهو شيخ هرم (فان)؛ فمات به، وفئة تقول بأنه أغار يوماً على قوم فجرح فمات متأثراً بجراحه، ولعل القول الثاني هو الأقرب إلى الصحة . بدأ عنترة حياته الأدبية شاعراً مقلاً حتى سابه رجل من بني عبس، فذكر سواده و سواد أمه و أخوته، وعيره بذلك، وبأنه لا يقول الشعر ، فرد عنترة المذمة عن نفسه، وابتدر ينشر المعلقة، ثم صار بعدها من الشعراء، ومما لا شك فيه أن حبه لعبلة قد أذكى شاعريته، فصار من الفرسان الشعراء. يقول في معلقته:

هل غادرَ الشعراءُ من متردَّم أم هلْ عرفتْ الدار بعد توهُّمِ
يا دارَ عبلةَ بالجَواءِ تكلَّمِي وعِمِي صباحاً دارَ عبلةَ و اسلمِي
فوقَّفتُ فيها ناقتي و كأنَّها فدنٌ لأقضي حاجة المتلوَّمِ

و تحــلُّ عبلــةُ بــالجَواءِ و أهلُنــا بـــــالحزْن فالصَّـــــمانِ فـــــالمتثَّلمِ
حُييــتَ مــنْ طللــلٍ تقــادمَ عهــدُه أقـــوى و أقفـــر بعـــد أمِّ الهيـــثمِ
حلــتْ بــأرضِ الزائــرينَ فأصــبحتْ عَسِــراً علـــي طلابِــك ابنـــةَ مخـــرمِ

ويعبر عنترة عن بطولته وفروسيته في معلقته، فيقول:

هــلَّا ســألتِ الخيــلَ يــا ابنــةَ مالــكٍ إن كنـــتِ جاهلـــةً بمـــا لـــمْ تعلمِـــي
إذ لا أزالُ علـــى رحالـــةِ ســـابحٍ نهـــدٍ تعـــاوَرَهُ الكمـــاةُ مكلَّـــمِ
طـــوراً يجـــرّدِ للطعـــانِ وتـــارةً يـــأوي إلـــى حصـــدِ القِسِـــيَّ عَرَمْـــرَمِ
يخبــركِ مــنْ شــهدَ الوقيعــةَ أننــي أغشـــى الـــوغَى وأعـــفُّ عنـــد المغـــنَمِ
ومـــدججٍ كـــرهَ الكمـــاةُ نزالـــهُ لا ممعـــــنٍ هربـــــاً ولا مستســـــلمِ
جـــادتْ لـــه كفـــي بعاجـــلِ طعنـــةٍ بمثقـــفٍ صـــدق الكعـــوب مقـــومِ
فشـــككتُ بـــالرمحِ الأصـــمِّ ثيابَـــه لـــيس الكـــريمُ علـــى القنـــا بمحـــرَّمِ
فتركتُـــه جـــزرَ الســـباعِ ينشـــنَه يقضـــمنَ حســـنَ بنانِـــه والمعصَـــمِ

خصائص الشعر الجاهلي

أ- خصائص الألفاظ:

1- تميل إلى الخشونة والفخامة.

2- خالية من الأخطاء، والألفاظ الأعجميّة لأنّهم لم يختلطوا بغيرهم.

3- تخلو من الزخارف والتكلّف والمحسّنات المصنوعة.

4- تميل إلى الإيجاز.

أهم ما يلاحظ على الشعر الجاهلي أنه كامل الصياغة ،فالتراكيب تامة ولها دائماً رصيد من المدلولات تعبر عنه وهي في الغالب مدلولات حسية والعبارة تستوفي أداء مدلولها فلا قصور فيها ولا عجز ، وهذا الجانب في الشعر الجاهلي يصور رقياً لغوياً وهو رقي لم

يحدث عفواً فقد سبقته تجارب طويلة في غضون العصور الماضية قبل هذا العصر ، ونمت هذه التجارب وتكاملت حتى أخذت الصياغة الشعرية عندهم هذه الصورة التامة، فالألفاظ توضع في مكانها والعبارات تؤدي معانيها دون اضطراب.

ونجد ترديد نفس المعاني في الشعر، والذي جعل القصائد والمعاني تأتي على طراز واحد أدى إلى الاتجاه على قوالب التعبير وبذلك أصبح المدار على القالب لا على المدلول والمضمون وقد بالغ البعض في ذلك ، فكان بعض الشعراء يخرجون قصائدهم في عام كامل ينظرون في صياغتها وعباراتها وهي المعروفة بالحوليات.
كما نجد صقل وتجويد اللفظ والصيغة فكانوا ينقحون القصائد ويعدلونها وفي أسمائهم وأشعارهم ما يدل على براعة هذا التنقيح ،فلقبوا امرأ القيس بن ربيعة التغلبي بالمهلهل لأنه أول من هلهل ألفاظ الشعر، ولقبوا علقمة بالفحل لجودة أشعاره ومثله المثقب والمتنخل وغيرهم.
وبرع الشعراء الجاهليون أيضا في تجزئة الأوزان حتى يودعوا شعرهم كل ما يمكن من عذوبة وحلاوة موسيقية .
واستعانوا منذ أقدم أشعارهم بطائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية بغرض التأثير في السامع ، وأكثر هذه المحسنات دوراناً في أشعارهم هو التشبيه ،وقد برعوا فيه كثيراً ، ونجد في أشعارهم الاستعارة بنوعيها (المكنية والتصريحية) ، وكذلك الطباق والجناس وكلها محسنات عنى بها الشاعر الجاهلي حتى يخلب ألباب السامعين ، وتصور هذه المحسنات ما كان يودعه الشاعر في قصيدته من جهد فني كبير.

ب- خصائص المعاني:

2-تخلو من المبالغة الممقوتة.

2- بعيدة عن التعقيد.

3- غالباً تقوم على وحدة البيت لا وحدة القصيدة.

4- منتزعة من البيئة البدوية.

-معاني الشعر الجاهلي معاني واضحة و بسيطة ليس فيها تكلف ولا إغراق في الخيال.

-الشعر الجاهلي يعد وثيقة دقيقة لمن يريد معرفة حياة الشاعر وبيئته لأن الشاعر ينقل أحاسيسه نقلاً أميناً إلى لوحاته فتبقى صورتها حقيقة ،فهم لا يبدلون الحقائق ولا يعدلون في معانيها بل يخضعون لها ويضبطون خيالاتهم وانفعالاتهم إزاءها.

-الشاعر الجاهلي لا يحلل خواطره وعواطفه إزاء ما يتحدث فيه ،فهولا يعرف التغلغل في خفايا النفس الإنسانية.

-يتصف الشعر الجاهلي جميعه بالحسية في التشبيه، فالشاعر يستمد تشبيهاته من عالمه المادي فيشبه المرأة بالشمس والرمح والغمام والظبية ويشبه الرجل بالليث والبحر والعقاب.

-الحسية في التشبيه جعلت معاني الشعر الجاهلي محددة وليست متسعة ،وكأن الشعراء اصطلحوا على معانٍ بعينها لا ينحرفون عنها ، وبذلك ظهرت نزعة المحاكاة والتقليد في أشعارهم ،إلا أنهم برعوا براعة نادرة في إعادتها وصوغها صياغة جديدة تختلف من شاعر لآخر فكل شاعر يعطيها شيئاً من شخصيته وأسلوبه.

-شيوع الحركة في معانيهم وهي مستمدة من البيئة الجاهلية التي لم تكن تعرف الثبات والاستقرار فالشاعر الجاهلي لا يقدم معانيه بشكل جامد وهذا ما جعل أشعارهم تفيض بالحيوية.

-الإيجاز وسرعة الانتقال من معنى لآخر فالشاعر لا يقف طويلاً أمام المعنى الواحد ، فهو لا يعرف الإطناب والهدوء ،وهذا ما جعل البيت في قصائدهم وحدة معنوية قائمة بنفسها ، وجعل القصائد الطويلة تجمع طائفة من الموضوعات والخواطر والعواطف يجمعها الوزن والقافية.

-وجود ضرب من الروح القصصية في أشعارهم كوصف الصعاليك لمغامراتهم ،إلا أن هذه الروح لم تتسع كثيراً في شعرهم بسبب ميلهم للسرعة والإيجاز.

ج- خصائص الخيال:

1-واسع يدلّ على دقّة الملاحظة.

2- صور الشعر الجاهلي تمثّل البيئة البدوية.

3- صور الشعر الجاهلي ليست متكلّفة.

4- الصّور الجاهلية تعتمد على الطابع الحسّي.

المـعـلـقــات

كان فيما أُثر من أشعار العرب ، ونقل إلينا من تراثهم الأدبي الحافل بضع قصائد من مطوّلات الشعر العربي ، وكانت من أدقّه معنى ، وأبعده خيالاً ، وأبرعه وزناً ، وأصدقه تصويراً للحياة ، التي كان يعيشها العرب في عصرهم قبل الإسلام ، ولهذا كلّه ولغيره عدّها النقّاد والرواة قديماً قمّة الشعر العربي وقد سمّيت بالمطوّلات ، وأمّا تسميتها المشهورة فهي المعلّقات .و نتناول نبذةً عنها .

فالمعلّقات لغةً من العِلْق : وهو المال الذي يكرم عليك ، تضنّ به ، تقول : هذا عِلْقُ مضنَّة . وما عليه علقةٌ إذا لم يكن عليه ثياب فيها خير [1]، والعِلْقُ هو النفيس من كلّ شيء ، وفي حديث حذيفة : «فما بال هؤلاء الّذين يسرقون أعلاقنا» أي نفائس أموالنا . والعَلَق هو كلّ ما عُلِّق.

وأمّا المعنى الاصطلاحي فالمعلّقات : قصائد جاهليّة بلغ عددها السبع أو العشر . على قول . برزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح ، حتّى عدّت أفضل ما بلغنا عن الجاهليّين من آثار أدبية.

والناظر إلى المعنيين اللغوي والاصطلاحي يجد العلاقة واضحة بينهما ، فهي قصائد نفيسة ذات قيمة كبيرة ، بلغت الذّروة في اللغة ، وفي الخيال والفكر ، وفي الموسيقى وفي نضج التجربة ، وأصالة التعبير ، ولم يصل الشعر العربي الى ما وصل إليه في عصر المعلّقات من غزل امرئ القيس ، وحماس المهلهل ، وفخر ابن كلثوم ، إلاّ بعد أن مرّ بأدوار ومراحل إعداد وتكوين طويلة.

وفي سبب تسميتها بالمعلّقات هناك أقوال منها:

لأنّهم استحسنوها وكتبوها بماء الذهب وعلّقوها على الكعبة ، وهذا ما ذهب إليه ابن عبد ربّه في العقد الفريد ، وابن رشيق وابن خلدون وغيرهم ، يقول صاحب العقد الفريد : «وقد بلغ من كلف العرب به (أي الشعر) وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة ، وعلّقتها بين أستار الكعبة ،

فمنه يقال : مذهّبة امرئ القيس ، ومذهّبة زهير ، والمذهّبات سبع ، وقد يقال : المعلّقات ، قال بعض المحدّثين قصيدة له ويشبّهها ببعض هذه القصائد التي ذكرت:

برزةٌ تذكَرُ في الحسـ نِ من الشعر المعلّقْ

كلّ حرف نادر منـ ها له وجهٌ معشّق

أو لأنّ المراد منها المسمّطات والمقلّدات ، فإنّ من جاء بعدهم من الشعراء قلّدهم في طريقتهم ، وهو رأي الدكتور شوقي ضيف وبعض آخر . أو أن الملك إذا ما استحسنها أمر بتعليقها في خزانته.

هل علّقت على الكعبة؟

سؤال طالما دار حوله الجدل والبحث ، فبعض يثبت التعليق لهذه القصائد على ستار الكعبة ، ويدافع عنه ، بل ويسخّف أقوال معارضيه ، وبعض آخر ينكر الإثبات ، ويفنّد أدلّته ، فيما توقف آخرون فلم تقنعهم أدلّة الإثبات ولا أدلّة النفي ، ولم يعطوا رأياً في ذلك.

المثبتون للتعليق وأدلّتهم:

لقد وقف المثبتون موقفاً قويّاً ودافعوا بشكل أو بآخر عن موقفهم في صحّة التعليق ، فكتبُ التاريخ حفلت بنصوص عديدة تؤيّد صحّة التعليق ، ففي العقد الفريد ذهب ابن عبد ربّه ومثله ابن رشيق والسيوطي وياقوت الحموي وابن الكلبي وابن خلدون ، وغيرهم إلى أنّ المعلّقات سمّيت بذلك; لأنّها كتبت في القباطي بماء الذهب وعلّقت على أستار الكعبة ، وذكر ابن الكلبي : أنّ أوّل ما علّق هو شعر امرئ القيس على ركن من أركان الكعبة أيّام الموسم حتّى نظر إليه ثمّ أُحدر ، فعلّقت الشعراء ذلك بعده.

وأمّا الأُدباء المحدّثون فكان لهم دور في إثبات التعليق ، وعلى سبيل المثال نذكر منهم جرجي زيدان حيث يقول: "وإنّما استأنف إنكار ذلك بعض المستشرقين من الإفرنج ، ووافقهم بعض كتّابنا رغبة في الجديد من كلّ شيء ، وأيّ غرابة في تعليقها وتعظيمها بعدما علمنا من تأثير الشعر في نفوس العرب؟! وأمّا الحجّة التي أراد النحّاس أن يضعّف

بها القول فغير وجيهة; لأنّه قال : إنّ حمّاداً لمّا رأى زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع وحضّهم عليها وقال لهم : هذه هي المشهورات«، وبعد ذلك أيّد كلامه ومذهبه في صحّة التعليق بما ذكره ابن الأنباري إذ يقول : «وهو . أي حمّاد . الذي جمع السبع الطوال ، هكذا ذكره أبو جعفر النحاس ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنّها كانت معلّقة على الكعبة"

وقد استفاد جرجي زيدان من عبارة ابن الأنباري : «ما ذكره الناس «، فهو أي ابن الأنباري يتعجّب من مخالفة النحاس لما ذكره الناس ، وهم الأكثرية من أنّها علقت في الكعبة.

النافون للتعليق:

ولعلّ أوّلهم والذي يعدُّ المؤسّس لهذا المذهب . كما ذكرنا . هو أبو جعفر النحّاس ، حيث ذكر أنّ حمّاداً الراوية هو الذي جمع السبع الطوال ، ولم يثبت من أنّها كانت معلّقة على الكعبة ، نقل ذلك عنه ابن الأنباري . فكانت هذه الفكرة أساساً لنفي التعليق:

كارل بروكلمان حيث ذكر أنّها من جمع حمّاد ، وقد سمّاها بالسموط والمعلّقات للدلالة على نفاسة ما اختاره ، ورفض القول : إنّها سمّيت بالمعلّقات لتعليقها على الكعبة ، لأن هذا التعليل إنّما نشأ من التفسير الظاهر للتسمية وليس سبباً لها ، وهو ما يذهب إليه نولدكه.

وعلى هذا سار الدكتور شوقي ضيف مضيفاً إليه أنّه لا يوجد لدينا دليل مادّي على أنّ الجاهليين اتّخذوا الكتابة وسيلة لحفظ أشعارهم ، فالعربية كانت لغة مسموعة لا مكتوبة . ألا ترى شاعرهم حيث يقول:

فلأهدينّ مع الرياح قصيدة منّي مغلغلة إلى القعقاعِ

ترد المياه فما تزال غريبةً في القوم بين تمثّل وسماعِ؟

ودليله الآخر على نفي التعليق هو أنّ القرآن الكريم . على قداسته . لم يجمع في مصحف واحد إلاّ بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) (طبعاً هذا على مذهبه) ، وكذلك الحديث الشريف . لم يدوّن إلاّ بعد مرور فترة طويلة من الزمان) لأسباب لا تخفى على

من سبر كتب التأريخ وأهمّها نهي الخليفة الثاني عن تدوينه) ومن باب أولى ألاّ تكتب القصائد السبع ولا تعلّق .

وممّن ردّ الفكرة . فكرة التعليق . الشيخ مصطفى صادق الرافعي ، وذهب إلى أنّها من الأخبار الموضوعة التي خفي أصلها حتّى وثق بها المتأخّرون.

ومنهم الدكتور جواد علي ، فقد رفض فكرة التعليق لأُمور منها:

1 . أنّه حينما أمر النبي بتحطيم الأصنام والأوثان التي في الكعبة وطمس الصور ، لم يذكر وجود معلقة أو جزء معلّقة أو بيت شعر فيها.

2 . عدم وجود خبر يشير إلى تعليقها على الكعبة حينما أعادوا بناءَها من جديد.

3 . لم يشر أحد من أهل الأخبار الّذين ذكروا الحريق الذي أصاب مكّة ، والّذي أدّى إلى إعادة بنائها لم يشيروا إلى احتراق المعلّقات في هذا الحريق.

4 . عدم وجود من ذكر المعلّقات من حملة الشعر من الصحابة والتابعين ولا غيرهم.

ولهذا كلّه لم يستبعد الدكتور جواد علي أن تكون المعلّقات من صنع حمّاد ، هذا عمدة ما ذكره المانعون للتعليق.

بعد استعراضنا لأدلة الفريقين ، اتّضح أنّ عمدة دليل النافين هو ما ذكره ابن النحاس حيث ادعى انّ حماداً هو الذي جمع السبع الطوال.

وجواب ذلك أن جمع حماد لها ليس دليلا على عدم وجودها سابقاً ، وإلاّ انسحب الكلام على الدواوين التي جمعها أبو عمرو بن العلاء والمفضّل وغيرهما ، ولا أحد يقول في دواوينهم ما قيل في المعلقات . ثم إنّ حماداً لم يكن السبّاق الى جمعها فقد عاش في العصر العباسي ، والتاريخ ينقل لنا عن عبد الملك أنَّه عُني بجمع هذه القصائد (المعلقات) وطرح شعراء أربعة منهم وأثبت مكانهم أربعة .

وأيضاً قول الفرزدق يدلنا على وجود صحف مكتوبة في الجاهلية:

أوصى عشية حين فارق رهطه عند الشهادة في الصحيفة دعفلُ

أنّ ابن ضبّة كان خيرٌ والداً وأتمّ في حسب الكرام وأفضلُ

كما عدّد الفرزدق في هذه القصيدة اسماء شعراء الجاهلية ، ويفهم من بعض الأبيات أنّه كانت بين يديه مجموعات شعرية لشعراء جاهليين أو نسخ من دواوينهم بدليل قوله:

والجعفري وكان بشرٌ قبله لي من قصائده الكتاب المجملُ

وبعد أبيات يقول:

دفعوا إليَّ كتابهنّ وصيّةً فورثتهنّ كأنّهنّ الجندلُ

كما روي أن النابغة وغيره من الشعراء كانوا يكتبون قصائدهم ويرسلونها الى بلاد المناذرة معتذرين عاتبين ، وقد دفن النعمان تلك الأشعار في قصره الأبيض ، حتّى كان من أمر المختار بن أبي عبيد وإخراجه لها بعد أن قيل له : إنّ تحت القصر كنزاً.

كما أن هناك شواهد أخرى تؤيّد أن التعليق على الكعبة وغيرها . كالخزائن والسقوف والجدران لأجل محدود أو غير محدود . كان أمراً مألوفاً عند العرب ، فالتاريخ ينقل لنا أنّ كتاباً كتبه أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة في حلف خزاعة لعبد المطّلب ، وعلّق هذا الكتاب على الكعبة . [23]كما أنّ ابن هشام يذكر أنّ قريشاً كتبت صحيفة عندما اجتمعت على بني هاشم وبني المطّلب وعلّقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.

ويؤيّد ذلك أيضاً ما رواه البغدادي في خزائنه من قول معاوية : قصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة الحارث بن حِلزه من مفاخر العرب كانتا معلّقتين بالكعبة دهراً.

هذا من جملة النقل ، كما أنّه ليس هناك مانع عقلي أو فنّي من أن العرب قد علّقوا أشعاراً هي أنفس ما لديهم ، وأسمى ما وصلت إليه لغتهم; وهي لغة الفصاحة والبلاغة والشعر والأدب ، ولم تصل العربية في زمان إلى مستوى كما وصلت إليه في عصرهم . ومن جهة أُخرى كان للشاعر المقام السامي عند العرب الجاهليين فهو الناطق الرسمي باسم القبيلة وهو لسانها والمقدّم فيها ، وبهم وبشعرهم تفتخر القبائل ، ووجود شاعر مفلّق

في قبيلة يعدُّ مدعاة لعزّها وتميّزها بين القبائل ، ولا تعجب من حمّاد حينما يضمّ قصيدة الحارث بن حلزّة إلى مجموعته ، إذ إنّ حمّاداً كان مولى لقبيلة بكر بن وائل ، وقصيدة الحارث تشيد بمجد بكر سادة حمّاد، وذلك لأنّ حمّاداً يعرف قيمة القصيدة وما يلازمها لرفعة من قيلت فيه بين القبائل.

فإذا كان للشعر تلك القيمة العالية ، وإذا كان للشاعر تلك المنزلة السامية في نفوس العرب ، فما المانع من أن تعلّق قصائد هي عصارة ما قيل في تلك الفترة الذهبية للشعر؟

ثمّ إنّه ذكرنا فيما تقدّم أنّ عدداً لا يستهان به من المؤرّخين والمحقّقين قد اتفقوا على التعليق.

فقبول فكرة التعليق قد يكون مقبولا ، وأنّ المعلّقات لنفاستها قد علّقت على الكعبة بعدما قرئت على لجنة التحكيم السنوية ، التي تتّخذ من عكاظ محلاً لها ، فهناك يأتي الشعراء بما جادت به قريحتهم خلال سنة ، ويقرأونها أمام الملإ ولجنة التحكيم التي عدُّوا منها النابغة الذبياني ليعطوا رأيهم في القصيدة ، فإذا لاقت قبولهم واستحسانهم طارت في الآفاق ، وتناقلتها الألسن ، وعلّقت على جدران الكعبة أقدس مكان عند العرب ، وإن لم يستجيدوها خمل ذكرها ، وخفي بريقها ، حتّى ينساها الناس وكأنّها لم تكن شيئاً مذكوراً.

موضوع شعر المعلّقات:

لو رجعنا إلى القصائد الجاهلية الطوال والمعلّقات منها على الأخصّ رأينا أنّ الشعراء يسيرون فيها على نهج مخصوص; يبدأون عادة بذكر الأطلال ، وقد بدأ عمرو بن كلثوم مثلاً بوصف الخمر ، ثمّ بدأ بذكر الحبيبة ، ثمّ ينتقل أحدهم إلى وصف الراحلة ، ثمّ إلى الطريق التي يسلكها ، بعدئذ يخلص إلى المديح أو الفخر (إذا كان الفخر مقصوداً كما عند عنترة (وقد يعود الشاعر إلى الحبيبة ثمّ إلى الخمر ، وبعدئذ ينتهي بالحماسة (أو الفخر) أو بذكر شيء من الحِكَم (كما عند زهير) أو من الوصف كما عند امرئ القيس.

ويجدر بالملاحظة أنّ في القصيدة الجاهلية أغراضاً متعدّدة; واحد منها مقصود لذاته (كالغزل عند امرئ القيس ، الحماسة عند عنترة ، والمديح عند زهير.

عدد القصائد المعلّقات:

لقد أُختلف في عدد القصائد التي تعدّ من المعلّقات ، فبعد أن اتّفقوا على خمس منها; هي معلّقات : امرئ القيس ، وزهير ، ولبيد ، وطرفة ، وعمرو بن كلثوم . اختلفوا في البقيّة ، فمنهم من يعدّ بينها معلّقة عنترة والحارث بن حلزة ، ومنهم من يدخل فيها قصيدتي النابغة والأعشى ، ومنهم من جعل فيها قصيدة عبيد بن الأبرص ، فتكون المعلّقات عندئذ عشراً.

أصحاب المعلقات:

1 – امريء القيس بن حجر بن الحارث الكندي .
2– طرفة بن العبد البكري .
3– زهير بن أبي سلمى المزني .

4– لبيد بن ربيعة العامري .
5–عمرو بن كلثوم التغلبي .
6– عنترة بن شداد العبسي .
7– الحارث بن حلزة اليشكري .

8– الأعشى ميمون البكري .
9– النابغة الذبياني .
10– عبيد بن الأبرص الأسدي .

ومطالع معلقاتهم هي :

امرؤ القيس:
قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقطِ اللِوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ
طرفة بن العبد:
لِخَولَةَ أَطلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ تَلوحُ كَباقي الوَشمِ في ظاهِرِ اليَدِ
زهير بن أبيُ سلمى:
أَمِن أُمِّ أَوفى دِمنَةٌ لَم تَكَلَّمِ بِحَومانَةِ الدُرّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

لبيد بن ربيعة:

عَفَتِ الدِيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها بِمَنىً تَأَبَّدَ غَولُها فَرِجامُها

عمرو بن كلثوم:

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَاَصبَحينا وَلا تُبقي خُمورَ الأَندَرينا

عنترة بن شداد:

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

الحارث بن حلزة:

آذَنَتنا بِبَينِها أَسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثَواءُ

الأعشى:

وَدِّع هُرَيرَةَ إِنَّ الرَكبَ مُرتَحِلُ وَهَل تُطيقُ وَداعاً أَيُّها الرَجُلُ

ومعلقة النابغة الذبياني:

يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فَالسَنَدِ أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ

و معلقة عبيد بن الأبرص التي أولها:

أَقفَرَ مِن أَهلِهِ مَلحوبُ فَالقُطَبِيّاتُ فَالذَنوبُ

قضية الانتحال

معنى الانتحال

لغة : نحل الشيء أعطاه أو وهبه أو خصه به . انتحل الشيء ادعاه لنفسه وهو لغيره .

أما في موضوع الشعر فهناك عدة مصطلحات سنتعرض لها في نهاية البحث ، وأهمها :

1- النحل/ نسبة شعر رجل إلى رجل آخر .

2- الانتحال/ ادعاء الشعر .

3- الوضع / أن ينظم الرجل الشعر ثم ينسبه إلى غيره .

و دلائل وجود الانتحال قديما .

هناك شواهد تدل على أن انتحال الشعر كان معروفاً قبل الإسلام وبعده ، ومن النصوص المثبتة لذلك :

في الجاهلية .

1- أن الأعشى قد مدح قيس بن معد يكرب الكندي بقصيدة دالية ، فقال له قيس :إنك تسرق الشعر. فقال له الأعشى : قيدني في بيت حتى أقول لك شعراً . فحبسه ، فقال قصيدته المشهورة التي أولها :

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى أن تزارا

وفيها يقول :

وقيدني الشعر في بيته كما قيد الآسرات الحمارا

ويقول أيضاً وهو الشاهد :

فما أنا أم ما انتحالي القوا ف بعد المشيب كفى ذاك عارا

1- قول الفرزدق يمدح علقمة بن عبدة المعروف بعلقمة الفحل :

والفحل علقمة الذي كانت له حلل الملوك كلامه لا ينحل

2- كان الأصمعي يشك في بيت عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

ويرى أن أول القصيدة :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

3- قول جرير للفرزدق :

ستعلم من يكون أبوه قيناً ومن كانت قصائده اجتلابا

4- يذكر أبو عبيدة أبياتاً لعلقمة منها :

وقد اغتدي والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب

ويقول _ وقد يخلط قوله بشعر امرئ القيس .

و أهم من تناول قضية الانتحال بالدراسة .

من القدماء :

- ابن سلاّم :

كان محمد بن سلاّم _ القرن الثالث_ أول من درس قضية الانتحال وأثارها في كتابه (طبقات فحول الشعراء (ويعزي ابن سلاّم مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي إلى عاملين -:

·القبائل التي كانت تستكثر من الشعر لتزيد من مناقبها .

·الوضاعين من الرواة .

يقول : (فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسنة شعرائهم ثم كان الراوة بعد فزادوا في الأشعار) فهو يعتقد بوجود دخيل في الشعر نسب إلى غير قائليه . ومثل ابن سلام نجد ابن هشام – مهذب سيرة ابن إسحاق – يذكر الانتحال عند أشعار متفرقة مما أورده ابن إسحاق في السيرة النبوية .

ومن المحدثين :

1- المستشرق الإنجليزي مرجليوث :.Margolioth

تناول مرجليوث في بحثه " أصول الشعر العربي " الذي نشره في المجلة الآسيوية سنة 1925م قضية الشعر الجاهلي .وهو يرى أن ما نسميه بالشعر الجاهلي قد كتب بعد ظهور الإسلام ونسب إلى الجاهليين .

ويستند في ذلك إلى أدله -:

1- أنه لا يمكن الاحتفاظ بالشعر الجاهلي منذ أن قيل حتى منتصف القرن الثاني الهجري حيث بدأ التدوين. فالرواية الشفوية لا تؤدي دورها بدقة . وليس عندنا دليل على وجود رواة محترفين يؤدون هذه المهمة بدقة . ولم يتم نقل الشعر الجاهلي عبر التدوين فالقرآن ينفي ان التدوين أو الكتابة كانت موجودة قبل الإسلام ويستشهد بالآية:[أم لكم كتاب فيه تدرسون] والآية [أم عندهم الغيب فهم يكتبون] .

2-وحدة لغة الشعر . فلا نرى تعدد لهجات القبائل ، لاسيما أن لغة أهل الجنوب وهي الحميرية تختلف عن لغة أهل الشمال العدنانيين. فلغة الشعر كانت ذاتها لغة القرآن من حيث التركيب والإعراب .

3- أن الإسلام ينفر من الشعر وكان خصوم النبي (ص) ينعتونه بأنه شاعر ومجنون وكاهن، أي أن كلامه – حاشاه– كان مبهماً غامضاً كالشعر وحديث الكهنة. فالشعر قبل الاسلام كان مبهما غامضا والذي نقرأه شعر كامل النضج على درجة عالية من التهذيب والكمال.

4- انبثاث المعاني الدينية والاشارات الاسلامية في الشعر الجاهلي. مثل الدنيا ، القيامة ، الحساب ، بعض صفات الله .أو وجود بعض الألفاظ ذات الطابع الاسلامي مثل قبلة القصاد ، الركوع ، السجود .ويستشهد بالأبيات :

قول لبيد –:

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه إذا كشفت عند الإله المحاصل

قول عبيد بن الأبرص –:

حلفت بالله إن الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو و تصفاح

قول عنترة –:

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخر له أعادينا سجودا

إضافة إلى أن النصرانية سيطرت على أجزاء من شبه الجزيرة ولا نرى للمبادئ المسيحية وتعاليمها أثراً في الشعر الجاهلي، بل نجد الشعراء يتحدثون كالمسلمين .

2- طه حسين :

يعد طه حسين أشهر أديب عربي شك في صحة الشعر الجاهلي القديم في لعصر الحديث. ففي كتابه (في الشعر الجاهلي) الذي ألفه سنة 1926م – بعد سنة من ظهور مقالة مرجليوث – يرى أن كثيراً من الشعر الجاهلي موضوع بعد الإسلام .وقد تشابهت آراءه في الاستدلال مع آراء مرجليوث وصرح بأنه اتبع منهج ديكارت الفلسفي ، وكما فهمه فهو منهج يتبع طريقة التشكيك . وأنكر عليه البعض ذلك وردَّ بأن منهج ديكارت ليس كذلك ، وإنما هو ألا يقبل المرء أمراً على أنه حقيقة إلا إذا قامت الدلائل عليه .

ودوافع شكه هي –:

1- أن هذا الشعر لا يمثل حياة العرب في الجاهلية دينيا ، وسياسيا ، واجتماعيا ... الخ .

2- أنه لا يمثل لهجات العرب ، بل جاء على لغة القرآن .

3- أنه لم يصل إلينا مدوناً بل وصل عن طريق الرواية الشفوية .

4- الشك في الرواة وعدم الثقة بهم ،شكك طه حسين في أغلب الرواة واتهمهم بالانحراف عن أصول الدين وقواعد الأخلاق والصواب أن أكثر الرواة كما –عرفوا– كانوا أمناء موثوق بهم ، والمتهمون قليل .

و كانت رواية الشعر تتم بنقل شاعر عن آخر. فمن أراد أن يصبح شاعراً لزم شاعراً فحلاً يحفظ عنه ويروي له .

·كان زهير بن أبي سلمى راوية أوس بن حجر، وكان كعب بن زهير و الحطيئة راويتي زهير .

أما الرواة في القرن الثاني وما بعده فهم كالآتي –:

1- محمد بن السائب الكلبي ، ت 146هـ

2- عوانة بن الحكم ، ت 147 هـ

3- حمَّاد بن سابور ، حماد الراوية ، ت156 هـ

ولم يرد لهؤلاء كتب مدونة ، بل روي عنهم ودونت الكتب من بعدهم .

4-أبو عمرو بن العلاء ، ت 155 هـ

5- المفضل بن محمد الضبي ، ت 170 هـ

6- خلف بن حيان ، خلف الأحمر ، ت هـ

5- عبد الملك بن قريب ، الأصمعي ، ت 215 هـ

5- توثيق وتضعيف الرواة: اتهم خلف الأحمر وحماد الراوية بشدة . وكان المفضل الضبي والأصمعي وأبو عمرو بن العلاء على درجة عالية من الثقة .

قال ابن سلاَّم : كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية وكان غير موثوق به .

قال ابن عبد ربه: كان خلف مع روايته وحفظه يقول الشعر فيحسن وينحله الشعراء .

قال ابن قتيبة : هو القائل –:

إن بالشعب إلى جنب سلع لقتيلاً دمه ما يطلُّ

ونحله ابن أخت تأبط شراً . وقيل إن له قصيدة أخرى مشابهة يذكر فيها أهل البيت ، من ولد أمير المؤمنين وما نالهم من الظلم وفيها –:

قدك مني صارم ما يفلُّ وابن حزم عقده ما يحلُّ

ينثني باللوم من عاذليه ما يبالي أكثروا أم أقلوا

واتهم بأنه وضع لامية العرب المنسوبة إلى الشنفري التي أولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل.

وقد كان طه حسين مبالغاً في الشك ،ومتطرفا في اتهام الرواة ،مما جعله يعمم حكمه على الشعر الجاهلي بأنه منحول من وضع الرواة .وهو لا يكاد يثق بما وصل منه وهذا ما جعل علماء عصره يردون أرائه ويبدل حكمه هذا .وذلك في كتب كثيرة خصها أصحابها للرد على كتابه المذكور منها مثلا –: تحت راية القرآن لمصطفى صادق الرافعي ،والشهاب الراصد لمحمد لطفي جمعه ،والنقد التحليلي لكتاب الأدب الجاهلي لأحمد محمد الغمراوي .

الصعاليك

في كتابه العصر الجاهلي حدد الدكتور شوقي ضيف معنى الصعلوك لغة بأنه الفقير الذي لا يملك المال الذي يساعده على العيش وتحمل أعباء الحياة, مؤكداً أن هذه اللفظة تجاوزت دلالاتها اللغوية وأخذت معاني أخرى كقطاع الطرق الذين يقومون بعمليات السلب والنهب.... ويمكن تقسيم الصعاليك إلى فئات ثلاث:

1- فئة الخلعاء الشذاذ وهم الذين خلعتهم قبائلهم بسبب أعمالهم التي لا تتوافق مع أعراف القبائل التي ينتمون إليها مثل حاجز الأزدي وقيس ابن الحدادية.

2- وفئة أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم آباءهم ولم يلحقوهم بأنسابهم مثل السليك بن السلكة، وتأبط شراً والشنفري

3- وفئة احترفت الصعلكة احترافاً وحولتها إلى ما يفوق الفروسية من خلال الأعمال الإيجابية التي كانوا يقومون بها مثل عروة بن الورد سيد الصعاليك ومعه أفراد من قبيلتي هذيل وفهم.

وما يلفت النظر في أشعار هؤلاء الصعاليك ترديد صيحات الفقر والجوع والحرمان .. كما كانوا ناقمين وثائرين على الأغنياء والأشحاء وامتازوا بالشجاعة والصبر وقوة البأس والمضاء وسرعة العدو وقد ضرب بهم المثل في شدة العدو حتى قيل »أعدى من السليك « و »أعدى من الشنفري«.

كانت غاراتهم تتركز في المناطق الخصبة وترصد قوافل التجارة وقوافل الحجاج القاصدة مكة المكرمة وكثيراً ما تغنوا بكرمهم وبرهم بأقاربهم لأن ما يحصلون عليه كان يوزع على الأهل والأقارب المحتاجين كما اتسمت لغتهم الشعرية بالترفع والسمو والشعور بالكرامة في الحياة وهذا ما نجده عند أبي خراش الهذلي القائل:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني فيذهب لم يدنس ثيابي ولاجرمي

وأغتبق الماء القراح فأنتهي إذا الزاد أمسى للمز لج ذا طعم

أرد شجاع البطن قد تعلمينه وأوثر غيري من عيالك بالطعم

مخافة أن أحيا برغم وذلة وللموت خير من حياة على رغم

فهو الصابر على الجوح و يكفيه الماء الصافي بينما يصاب كل من حوله من أشحاء النفوس بتخمة الطعام وإذا ما وجد الطعام فضل إطعامه لغيره ويعني هنا أولاده دون أن يمسه وكل ما يعمله من أجل ألا يوصم بالعار والمذلة.

والحقيقة أن الصعلكة أخذت شكلاً إيجابياً رغم أنها قامت على السلب والنهب، لأن المقصد من هذا الفعل كان يرمي إلى إطعام الفقراء من أموال الأغنياء وكأنهم يؤكدون أن للفقير حقا في مال الغني.

ميزة أخرى غلبت على هؤلاء الصعاليك وهي عدم تعرضهم في غاراتهم وغزواتهم للأسياد الشرفاء وإنما للأغنياء الأشحاء وهذا المبدأ تمثله سيد الصعاليك عروة بن الورد. كما عرف عن هؤلاء الصعاليك اعتزازهم بأنفسهم وهذا الاعتزاز نابع من مدى قناعتهم بالفعل الذي يقومون به يقول الشنفري:

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

حتى أنه يفضل أن يستف التراب على أن يتفضل عليه إنسان لأنه يملك نفساً حرة أبية تأبى الضيم:

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل

وأستف ترب الأرض كي لايرى له علي من الطول امرؤ متطول

كما أنهم أضفوا على أنفسهم صفة الكرم إلى حد الافراط حتى أن تأبط شراً لم يبق على شيء لغده:

يقول أهلكت مالاً لو قنعت به من ثوب صدق ومن بز وإعلاق

عاذلتي إن بعض اللوم معنفة وهل متاع إن أبقيته باق

ونأتي إلى سيد الصعاليك عروة بن الورد العبسي إذ كان أبوه من شجعان قبيلته وأشرافهم كما كان له دور بارز في حرب داحس و الغبراء. أما أمه فكانت من نهد من قضاعة وهي عشيرة وضيعة وهذا ما جعل شاعرنا يشعر بالعار وقد عبر عنه بقوله:

وما بي من عار إخال علمته سوى أن أخوالي إذا نسبوا »نهد«

ويبدو أن هذا العار الذي كان يحسه هو الذي دفعه إلى دروب الصعلكة والثورة على الأغنياء. وشاعرنا لم يخلع من قبيلته كغيره من الشعراء الصعاليك وإنما ظل يحتل مكانة كبيرة فيها، وقد اتصفت صعلكته بكل جوانب المروءة والإخاء والتعاون والتضامن الاجتماعي، إذ كان يغير على القوافل ليس بقصد السلب والنهب وإنما كان يغزو لإعانة الفقراء والمرضى والمحتاجين والمستضعفين من قبيلته وهؤلاء كانوا دوماً يصرخون بأعلى أصواتهم: "أغثنا يا أبا الصعاليك".

ولأنه لم يكن يغير إلا على الأغنياء الذين عرفوا بالشح والبخل وعدم مد يد المعونة إلى أحد وخاصة المحتاج لذلك اكتسبت صعلكته نبلاً أخلاقياً أكبر من الفروسية حتى أن عبد الملك بن مروان كان يقول: »من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد« وعروة هو القائل:

أفرق جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد

وهو الذي لا يستطيع القعود عن الغزوات لأن عليه حقوقاً وواجبات يجب أن يؤديها إلى المحتاجين من قبيلته ونسائها المعوزات لهذا فهو يكره الصعلوك الخامل بل يحب الصعلوك المشرق الوجه وفيه يقول:

ولله صعلوك صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور

مطلاً على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر

وإن بعدوا لايأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المتنظر

فذلك إن يلق المنية يلقها حميداً وإن يستغن يوماً فأجدر

وهكذا نجد أن عروة بن الورد كان صعلوكاً شريفاً وشجاعاً ومقداماً وقد استطاع أن يجعل من الصعلكة ما رفعها إلى درجة المروءة والسيادة لأن الغرض منها كان نداءً يدعو للتضامن والتكافل الاجتماعي الذي يراد منه في النهاية الخير للجميع وخاصة الناس المعوزين من الأهل والأقارب بل هي تأكيد بأن للفقراء حق في مال الأغنياء

الصعاليك اسم يطلق على جماعة من العرب في عصر ما قبل الإسلام عاشوا واطلقوا حركتهم في نجد وسط الجزيرة العربية ويعودون لقبائل مختلفة، كانوا لا يعترفون بسلطة القبيلة وواجباتها (خارجون عن القانون : بالوصف المعاصر)، فطردوا من قبائلهم. ومعظم أفراد هذه الجماعة، من الشعراء المجيدين وقصائدهم تعدّ من عيون الشعر العربي.

امتهن الصعاليك غزو القبائل بقصد الأخذ من الأغنياء وإعطاء المنبوذين أو الفقراء، ولم يعترفوا بالمعاهدات أو الاتفاقيات بين قبائلهم والقبائل الأخرى ما أدى إلى طردهم من قبل قبائلهم، وبالتالي عاشوا حياة ثورية تحارب الفقر والاضطهاد وتسعى للتحرر في شكله المتمرد.

خصائص شعر الصعاليك :

واصطبغت أدبيات الصعاليك برؤيتهم عن الحياة فجاءت معظم قصائدهم تحكي عن شجاعتهم وقدرتهم وتحديهم للمجتمع. وشعرهم يمتاز بقوة العاطفة وسعة الخيال وفيه من الحكمة الشيء الكثير. ومن مميزات شعرهم الخلو من المقدمات الطللية فكانوا أول من كسر بنية القصيدة الجاهلية كما خلا شعرهم من المدح والطول فانتهجوا شعرا جديدا.

من أشهر الصعاليك

- شضاض الضبي التميمي ويضرب فيه المثل في ذلك وقالت العرب: ألص من شضاض
- أبو خراش الهذلي، واسمه خويلد بن مرة. أشهر صعاليك هذيل شاعرٌ فحلٌ مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه. قضى طرفاً كبيراً من حياته قبل الإسلام ثائراً بدم إخوته بني لُبنى. توفي في خلافة عمر من لدغة حية.

- عروة بن الورد، أشهرهم على الإطلاق وكان سيداً لهم يلجأون له وقت الحاجة. مات عام 596م.
- السليك بن السلكة، من بني مقاعس من سعد بن زيد مناة من تميم، توفي نحو 605م؟
- تأبط شراً: قدرت وفاته بين عامي 530م و535م.
- الأُحَيمِر السَعدي: من بني تميم. شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان لصاً فاتكاً مارداً، من أهل بادية الشام. وهو صاحب البيت السائر على كل لسان:

عَوى الذِئبُ فَاِستَأنَستُ بِالذِئبِ إِذْ عَوى وَصَوَّتَ إِنسانٌ فَكِدتُ أَطيرُ.

- الشنفرى الأزدي، وهو ثابت بن أوس الأزدي، توفي نحو 525م أي قبل الهجرة.
- مالك بن الريب المازني التميمي: وهو أول من رثى نفسه في الإسلام وكان من أشهرهم وله في خراسان روايات كثيرة وتوفي في مرو.

النثر الجاهلي

النثر أحد قسمي القول، فالكلام الأدبي كله إما أن يصاغ في قالب الشعر المنظوم وإما في قالب القول المنثور. قال ابن رشيق القيرواني " وكلام العرب نوعان: منظوم ومنثور، ولكل منهما ثلاث طبقات: جيدة، ومتوسطة، ورديئة، فإذا اتفق الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، لم يكن لإحداهما فضل على الأخرى، وإن كان الحكم للشعر ظاهرا في التسمية.

ويشرح ابن رشيق أن أصل التسمية في المنظوم وهي من نظم الدر في العقد وغيره، إما للزينة أو حفظا له من التشتت والضياع، أما إذا كان الدر منثورا.لم يؤمن عليه ولم ينتفع به.

من هنا حصلت عملية تشبيه الكلام الأدبي بالدرر والمجوهرات وتوهم الناس أن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة. وذلك بالنظر إلى سهولة حفظ الكلام المنظوم واستظهاره بسبب الوزن، وانعدام الوزن في الكلام المنثور يجعله عرضة للنسيان والضياع، وذلك في وقت كان الناس فيه يتداولون النصوص الأدبية مشافهة دون الكتابة في هذا العصر الجاهلي والإسلامي الأول، وقد زال هذا التفاضل في عصور التدوين وكتابة النصوص كما في زماننا الحاضر، بحيث اختص كل من النثر والشعر بمجالات في القول تجعله أليق به. ويعتقد ابن رشيق محقا: إن ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، وهو يقصد بذلك تلك الحقبة الزمنية قبل الإسلام وبدايات العهد الإسلامي تخصيصا.

وجاء هذا ردا كافيا علي الذين ينفون وجود نثر فني عربي جيد قبل الإسلام، وإنما كان ضياع ذلك النثر الجاهلي أو اختلاطه بسبب طبيعته الفنية الخالية من الوزن. وهو لم يعن بذلك إلا النثر الفني أي الأدبي الذي يتوفر – كما ذكر بروكلمان – "على قوة التأثير بالكلام المتخير الحسن الصياغة والتأليف في أفكار الناس وعزائمهم". أما النثر الاعتيادي الذي يستعمل بين الأفراد في التداول اليومي الغرض الاتصال وقضاء الحاجات والثرثرة مما ليس فيه متانة السبك والتجويد البلاغي ولا قوة التأثير فلا يعتد به، وليس له قيمة

اعتبارية في الدراسة الأدبية. إن ما روي من النثر الجاهلي قليل بالنسبة لما روي من الشعر وذلك للأسباب الاتية:

1-سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي.

2 – الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.

3- قلة أو انعدام التدوين، والاعتماد على الحفظ والرواية.

أنواع النثر الفني العربي في العصر الجاهلي:

بالرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدون يحتوي على نصوص النثر الجاهلي يعود تاريخه إلى تلك الفترة من الزمن الغابر، إذ كان الناس يحفظونها ويتناقلونها عن طريق الرواية الشفاهية، مثل الشعر، وهذا ربما سبب قلتها، وكذا موقف الإسلام من بعضها، وبالرغم من ذلك فان الدارسين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا من أنواع النثر الأدبي في تلك الفترة خاصة بعض الأنواع منها:

الخطابة، القصص، الأمثال، الحكم، الوصايا، النثر المسجوع.

الخطابة:

هي فن مخاطبة الجماهير، بغية الإقناع والإمتاع، بكلام بليغ وجيز. فهي قطعة من النثر الرفيع، قد تطول أو تقصر حسب الحاجة لها. وهي من أقدم فنون النثر، لأنها تعتمد علي المشافهة، لأنها فن مخاطبة الجمهور بأسلوب يعتمد علي الاستمالة وعلي اثارة عواطف السامعين، وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم، وذلك يقتضي من الخطيب تنوع الأسلوب، وجودة الإلقاء وتحسين الصوت ونطق الإشارة. أما الإقناع فيقوم علي مخاطبة العقل، وذلك يقتضي من الخطيب ضرب الأمثلة وتقديم الأدلة والبراهين التي تقنع السامعين.

أقسام أو أجزاء الخطبة:

للخطبة أجزاء ثلاثة هي (المقدمة – والموضوع – والخاتمة). أهداف الخطبة: الإفهام والإقناع والإمتاع والاستمالة. وللخطابة مميزات تمتاز بها عن غيرها من الفنون، لذلك لا

نستغرب أن يتحدث الجاحظ عن وجودها، ومنها: لها تقاليد فنية، وبنيوية، وسمات. لها زي معين وهيأة تمثيلية للخطيب، وأصول في المعاملة. كما أنها تستدعي احتشاد الناس من وجهاء القوم. لها أماكن إلقاء هي نفسها أماكن التجمعات الكبرى (مضارب الخيام، ساحات النزول، مجالس السمر، الأسواق).

خصائص أسلوب الخطبة:

قصر الجمل والفقرات. جودة العبارة والمعاني. شدة الإقناع والتأثير. السهولة ووضوح الفكرة. جمال التعبير وسلامة الألفظ. التنويع في الأسلوب ما بين الإنشائي والخبري. قلة الصور البيانية. الإكثار من السجع غير المكلف.

أسباب ازدهار الخطبة في العصر الجاهلي:

ازدهرت الخطبة لاكتمال عوامل ازدهارها ورقيها وهي:

1 – حرية القول. 2 – دواعي الخطابة كالحرب والصلح والمغامرات. 3 – الفصاحة فكل العرب كانوا فصحاء.

أنواع الخطابة:

تختلف باختلاف الموضوع والمضمون، منها: الدينية: التي تعمد إلى الوعظ والإرشاد والتذكير والتفكير. السياسية: التي تستعمل لخدمة أغراض الدولة أو القبيلة. الاجتماعية: التي تعالج قضايا المجتمع الداخلية، والعالقة منها من أمور الناس، كالزواج.... الحربية: التي تستعمل بغية إثارة الحماسة وتأجيج النفوس، وشد العزائم. قضائية: التي تقتضي الفصل والحكم بين أمور الناس، يستعملها عادة الحاكم أو القاضي.

ولقد اجتمعت هذه الخصائص في خطبة ل (قس من ساعدة الايادي) والجدير بالذكر أنه أول من قال في خطبته: (أما بعد) وتسمى (فصل الخطاب)، لأنها تفصل المقدمة عن الموضوع. وقد اقترن موضوع الخطابة بالزعامة، أو الرئاسة للقبيلة أو القوم، كما اقترن من جهة أخرى بلفظ الحسام، فلا مجال لبروز الحسام قبل بروز الكلام، ولا مطمع لسيادة القوم

إلا بعد إتقان فن القول، كما أن الخطابة قديمة الحضارات، وقدم حياة الجماعات، فقد عرفت عند المصريين، الرومان، اليونان ق05 قبل الميلاد.

وخطبة قس بن ساعدة فهي كما يلي : (أيها الناس، اسمعوا وعوا، وإذا سمعتم شيئا فانتفعوا، إنه من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا. ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج. ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا؟ تبا لأرباب الغافلة والأمم الخالية والقرون الماضية.

يا معشر إياد، أين الآباء والأجداد؟ وأين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد؟ أين من بنى وشيد، وزخرف ونجد؟ أين من بغى وطغى، وجمع فأوعى، وقال أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالا، وأطول منكم آجالا؟ طحنهم الثرى بكلكله، ومزقهم الدهر بتطاوله، فتلك عظامهم بالية، وبيوتهم خاوية، عمرتها الذئاب العاوية. كلا بل هو الله الواحد المعبود، ليس بوالد ولا مولود".

يا معشر إياد، ، أقسم قس بالله إن لله لدينا أرضى من دينكم هذا".:

في الذاهبين الأ ولي *** ن من القرون لنا بصائر

لما رأ يت مواردا *** للموت ليس لها مصادر

ورأ يت قومي نحوها *** يمضي الأصاغر والأكابر

لا يرجع الماضي ولا *** يبقى من الباقين غابر

أيقنت أ ني لا محا *** لة حيث صار القوم صائر

الأمثال:

أبدع معظم العرب في ضرب الأمثال في مختلف المواقف والأحداث، وذلك لحاجة الناس العملية إليها، فهي أصدق دليل عن الأمة وتفكيرها، وعاداتها وتقاليدها، وتصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير، أقوي دلالة من الشعر في ذلك لأنه لغة طائفة ممتازة، أما هي فلغة جميع الطبقات. تعريف المثل: هو قول محكم الصياغة، قليل اللفظ، موجز العبارة، بليغ التعبير، يوجز تجربة إنسانية عميقة، مضمرة ومختزلة بألفاظه، نتجت عن حادثة أو قصة قيل فيها المثل، ويضرب في الحوادث المشابهة لها،

فهو فن أدبي نثري ذو أبعاد دلالية ومعنوية متعددة، انتشر على الألسن، له مورد وله مضرب. من أسباب انتشار الأمثال وشيوعها: خفتها وحسن العبارة، وعمق ما فيها من حكمة لاستخلاص العبر، إصابتها للغرض المنشودة منها، الحاجة إليها وصدق تمثيلها للحياة العامة ولأخلاق الشعوب.

ومن خصائص المثل: يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام: " إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية إضافة إلى قوة العبارة والتأثير، فهو نهاية البلاغة. والأمثال في الغالب أصلها قصة، إلا أن الفروق الزمنية التي تمتد لعدة قرون بين ظهور الأمثال ومحاولة شرحها أدت إلى احتفاظ الناس بالمثل لجمال إيقاعه وخفة ألفاظه وسهولة حفظه، وتركوا القصص التي أدت إلى ضربها. وفي الغالب تغلب روح الأسطورة على الأمثال التي تدور في القصص الجاهلية مثل الأمثال الواردة في قصة الزباء ومنها:

" لا يطاع لقصير أمر, ولأمر ما جدع قصير أنفه" . " بيدي لا بيد عمرو". وكذلك الأمثال الواردة في قصة ثأر امرئ القيس لأبيه ومنها: " ضيعني صغيرا وحملني ثأره كبيرا " . " لا صحو اليوم ولا سكر غدا " . " اليوم خمر وغدا أمر". وربما يستطيع المحققون بجهد أن يردوا بعض هذه الأمثال لأصحابها ومبدعيها، فمن حكماء العرب عدد كبير قد اشتهر بابتكاره وإبداعه للأمثال، بما فيها من عمق, وإيجاز, وسلاسة, يقول الجاحظ: " ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفي، وربيعة بن حذار، وهرم بن قطيعة، وعامر بن الظرب، ولبيد بن ربيعة. وأحكمهم أكثم بن صيفي التميمي, تدور علي لسانه

حكم وأمثال كثيرة, وهي تجري علي هذا النسق : " رب عجلة تهب ريثا " . " ادرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل. المرء يعجز لا محالة ". " لا جماعة لمن اختلف " . " لكل امرئ سلطان على أخيه حتى يأخذ السلاح, فإنه كفى بالمشرفية واعظا " . " أسرع العقوبات عقوبة البغي". ولكن أمثال العرب لم تأت على مثل هذه الدرجة من الرقي والانضباط الأسلوبي, مثل التي جاء بها أكثم, بل إن كثيرا من الأمثال الجاهلية تخلو من التفنن التصويري, وهذا بطبيعة الأمثال فإنها ترد على الألسنة عفوا وتأتي على ألسنة العامة لا محترفي الأدب, فلم يكن من الغريب أن يخرج بعضها علي القواعد الصرفية والنحوية دون أن يعيبها ذلك مثل: أعط القوس باريها (بتسكين الياء في باريها والأصل فتحها), وأيضا (أجناؤها أبناؤها) جمع جان وبان والقياس الصرفي جناتها بناتها لأن فاعلا لا يجمع علي أفعال وهذا يثبت أن المثل لا يتغير بل يجري كما جاء علي الألسنة وأن خالف النحو وقواعد التصريف. وبعض الأمثال يغلب عليها الغموض وقد تدل تركيبتها على معنى لا تؤدي إليه الكلمات بذاتها، ومن ذلك قول العرب: (بعين ما أرينك)؛ أي أسرع. ولم يكن هذا النوع من الأمثال هو الوحيد بل هناك أمثال صدرت عن شعراء مبدعين وخطباء مرموقين فجاءت راقية الأسلوب متألقة بما فيها من جماليات الفن والتصوير مثل: أي الرجال المهذب، فهذا المثل جزء من بيت للنابغة يضرب مثلا لاستحالة الكمال البشري. والبيت: ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث. أي الرجال المهذب. ويصعب تمييز المثل الجاهلي عن الإسلامي. إلا بما يشير إليه من حادث أو قصة أو خبر، يساعد على معرفته وتمييزه مثل: " ما يوم حليمة سر"، وحليمة بنت ملك غسان. فهو في عصر ما قبل الإسلام والمثل: " اليوم خمر وغدا أمر". هو في العصر الجاهلي والأمثال ذات قالب ثابت البنية، إذ هو ذاته يستعمل في كل الأحوال.

و تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، من حيث البناء ذات قالب بسيط: إنك لن تجني من الشوك العنب. تأتي في قالب الصنعة اللفظية: من عز بز، عش رجباً ترى عجبا. وبعضها يأتي في قالب منتهكا الترتيب النحوي: الصيف ضيعتِ اللبن. أما أنواع المثل، فهي حقيقية أو فرضية خيالية. حقيقية: لها أصل، من حادثة واقعية، وقائلها معروف غالبا. فرضية: ما كانت من تخيل أديب ووضعها عل لسان طائر أو حيوان أو جماد أو نبات أو ما شاكل ذلك، والفرضية تساعد على النقد والتهكم ووسيلة ناجحة للوعظ والتهذيب. – و بعض الأمثال يمثل منهجا معينا في الحياة كقولهم: إن الحديد بالحديد يُفَلَّح وبعضهاربما يحمل

توجيها خاصا كقولهم: قبل الرماء تملأ الكنائن. وبعضها يبني علي ملاحظة مظاهر الطبيعة أو يرتبط بأشخاص اشتهروا بصفات خاصة. أما من حيث اللغة فقد تستعمل الفصحى وهي عادة المثل الجاهلي، وقد تستعمل اللهجة العامية، وقد تكون هجينة ما بين ألفاظ فصحى وأخرى دخيلة وتسمى بالمولدة.

النثر المسجوع أو سجع الكهان:

دل القرآن الكريم على وجود سجع الكهان كما في قوله تعالى : (...ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) وهذا نوع من النثر في العصر الجاهلي أولاه المستشرقون من العناية أكثر مما يستحق، وبعضهم كان يغمز بذلك من طرف خفي إلى الفواصل في آيات القران الكريم كأنه يريد الطعن في إعجازه. يقول المستشرق بلاشير في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، أن سكان المجال العربي(.....) عرفوا، دون ريب نظاما إيقاعيا تعبيريا سبق ظهور النثر العربي، ولم يكن هذا الشكل الجمالي هو الشعر العروضي، ولكنه نثر إيقاعي ذو فواصل مسجعة ". ويضيف أنه من الممكن أن يصعد السجع إلى أكثر الآثار الأدبية عند العرب إيغالا في القدم، وبالتالي إلى ماضي أكثر غموض".فهناك من يؤكد بأن المسجوع كان المرحلة الأولى التي عبرها النثر إلى الشعر عند العرب.

يقول ابن رشيق: وكان كلام العرب كله منثوراً، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم الأخلاق وطيب أعراقها، وصنعوا أعاريض جعلوها موازين للكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ". فلما استقر العرب، واجتمعوا بعد تفرق، وتحضروا بعد بداوة، واجتمع لهم من سمات الحضارة وثقافة الفكر، وتنظيم الحياة، ما جعلهم يشعرون بحاجتهم إلى كلام مهذب، وأسلوب رشيق، وفكرة مرتبة، فكان النثر المسجوع وسيلتهم في ذلك.

تعريفه: " لون فني يعمد إلى ترديد قطع نثرية قصيرة، مسجعة ومتتالية، تعتمد في تكوينها على الوزن الإيقاعي أو اللفظي، وقوة المعنى"، فمن مميزاته أنه يأتى:

محكم البناء، جزل الأسلوب، شديد الأسر، ضخم المظهر، ذو روعة في الأداء، وقوة في البيان، ونضارة في البلاغة. لغته تمتاز: بشديدة التعقيد، كثرة الصنعة، كثرة الزخارف في

أصواتها وإيقاعها. لذلك فالنثر المسجوع يأتي في مرحلة النضج. بينما كنا قد رجحنا من قبل بأسبقية الأمثال على غيرها من أشكال التعبير النثري.

وظاهرة السجع المبالغ فيه في النثر الجاهلي، قد ارتبطت بطقوس مشربة بسحر والكهون ومعتقدات الجدود، لذلك يكثر في رأيه ترديد القطع النثرية القصيرة المسجعة أثناء الحج في الجاهلية، وحول مواكب الجنائز، مثل قول أحدهم: من الملك الأشهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه يشحب، وهذا غدا أول من يسلب". ويتصف هذا النثر إجمالا باستعمال وحدات إيقاعية قصيرة تتراوح بين أربعة وثمانية مقاطع لفظية (...) تنتهي بفاصلة أو قافية، ودون لزوم التساوي بين الجمل أو المقاطع.